المرتضى علي (عليه السلام)

الجزء الثاني

الحاج حسين الشاكري

عشرة أحاديث في علم علي (عليه السلام)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

1 - لفاطمة الزهراء (عليها السلام) -: زوجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً.

2 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أُوتى منه.

3 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أقضاكم عليٌّ.

رواه في الاستيعاب ج2 ص 28، والمواقف للايجي ج2 ص 276 وشرح ابن أبي الحديد ج2 ص 235، مطالب السؤول ص 23، تمييز الطيب من الخبيث ص 25، كفاية الشنقيطي ص 46.

4 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً.

حلية الاولياء ج1 ص 65، أسنى المطالب ص 14، وللحديث مصادر أُخرى كثيرة مذكورة في إحقاق الحق ج 5 ص 516 - 521 و ج 16 ص 310 - 314.

5 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

6 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي.

رواه الحاكم في المستدرك ج 2 ص 122، والذهبي في ميزان الاعتدال ج 1 ص 472 والقندوزي في ينابيع المودة ص 203، وللحديث مصادر أُخرى مذكورة في إحقاق الحق ج 6 ص 52 - 55 و ج 16 ص 435 و 436 و ج 20 ص 304، 318، 416.

7 - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّ الله خلقني وعلياً من شجرة، أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، فهل يخرج من الطيب إلاّ الطيب؟! وأنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها.

أشرنا إلى مصادر حديث مدينة العلم في الرقم (12).

8 - عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن، وإنّ علياً (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن.

رواه أبو نعيم في حلية الاولياء ج1 ص 65، وأخرجه في إحقاق الحق ج 5 ص 515 وص 516 عن بعض المصادر.

9 - قال عليٌّ (عليه السلام): علّمني رسول الله ألف باب من العلم، ففتح لي من كلّ باب ألف باب.

رواه السيد أحمد المغربي في فتح الملك العلي ص 19، والمحدّث الهروي في الاربعين ص 47 (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة ص 72.

10 - وقال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر.

رواه الگنجي في كفاية الطالب ص 190.

هذه عشرة أحاديث منتخبة من مئات الاحاديث المروية في علم علي (عليه السلام) وحكمته، وقال قال فيه أبو الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أنّ الامر منصرف * * * عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم * * * وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟!

عدل عليّ (عليه السلام)

من أبيات لسودة بنت عمارة الهمدانية:

صلّى الاله على روح تضمَّنها * * * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً * * * فصار بالحق والايمان مقرونا

ماذا أقول في عدل علي وهو إمام العدل، وكل عدل في الدنيا هو عيال على عدالته، ولولا أنَّ أُصول العدالة جارية في نفسه مجرى الدم في عروقه لما أمكن تطبيقه لأُصول العدالة في جميع سلوكه ومدى حياته ; ومن مستلزمات تطبيق العدالة وتنفيذها قوّة الايمان بالله تعالى والتقوى، مقرونة بحزم وعزم يفوق كل عاطفة ومصانعة، وعدم الخوف من المشاكل المحتمل وقوعها، وقد تجسّدت هذه المؤهلات كلّها في نفسية الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وإليك نماذج من عدله في حكمه، وتطبيقه لها متميزاً في حديثه (عليه السلام):

النموذج الاوّل: في حديث لامير المؤمنين (عليه السلام): والله، لان أبِيتَ على حَسَكِ السَّعْدَان مُسَهَّداً، أو أُجرَّ في الاَغلالِ مُصَفَّداً أحَبُّ إليَّ مِن أنْ ألْقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيفَ أظلمُ أحداً لنَفْس يُسْرعُ إلى البلى قُفُولُها ويطولُ في الثرى حُلُولُها.

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أمْلق حتّى استماحني من بُرِّكُم صاعاً، ورأيتُ صبيانه شُعْثَ الشعور، غُبْرَ الالوان من فقرهم، كأنّما سُوِّدت وجوههم بالعِظْلِمِ، وعاودني مؤكّداً، وكرَّر عليَّ القول مُرديداً فأصغيت إليه سَمعي، فظنَّ أني أبيعُهُ ديني، وأتّبعُ قِيَادَهُ مُفارِقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدةً، ثمَّ أدنيْتُها من جِسمِه ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دَنَف من ألمِهَا وكادَ أنْ يحترق من ميسَمِها فقلتُ له: ثكلتْك الثواكل يا عقيل، أتئِنُ مِن حَدِيدة أحماها إنسانها لِلَعبهِ، وتجُرُّني إلى نار سجَرَهَا جَبَّارُهَا لغِضَبِهِ، أتئِنُ مِن الاذى ولا أئِنُ مِن لظى؟! والله لو أُعطيتُ الاقاليمَ السبعة بما تحت أفْلاكها على أن أعْصي الله في نملة أسْلُبُها جلب شعيرة ما فعلتُه، وإنَّ دُنْيَاكُم لاهْوَن عندي مِن ورقة في فَمِ جَرادة تقضمُها، ما لِعليٍّ ولنعيم يَفنى ولَذَّة لا تبقى، نعوذُ بالله مِن سُبَات العَقلِ وقُبْح الزللِ.

النموذج الثاني: روي أنَّ سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد شهادة علي (عليه السلام)، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيّام صِفّين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يتقدّم علينا من قِبلَك من يسمو بمكانك، ويبطش بقوّة سلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلا كفّرناك. فقال معاوية: إيّاي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه فينفّذ فيك حكمه. فأطرقت سودة ساعة ثمَّ قالت:

صلّى الاله على روح تضمَّنها * * * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً * * * فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال معاوية: مَن هذا يا سودة؟ قالت: هو، والله، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والله لقد جئته في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته، ثمَّ أقبل عليَّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألكِ حاجة (يا أمة الله)؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثمَّ قال: اللهمَّ أنت الشاهد عليَّ وعليهم، وإنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ثمَّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بيّنة من ربِّكم، فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها، ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك مَن يقبضه منك، والسلام».

ثمَّ دفع الرقعة إليَّ فوالله ما ختمها بطين، ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية.

النموذج الثالث: عن ميسرة، عن شريح القاضي، قال: لمّا توجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى قتال معاوية افتقد

درعاً له، فلمّا رجع وجدها في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة، فقال: يا يهودي، الدرع درعي، لم أهب ولم أبع.

قال اليهودي: درعي، وفي يدي.

فقال: بيني وبينك القاضي.

قال: فأتياني، فقعد عليٌّ إلى جنبي، واليهودي بين يدي، وقال (عليه السلام): لولا أنّ خصمي ذمّي لاستويت معه في المجلس ; ولكني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أصغروا بهم كما أصغر الله بهم.

ثمَّ قال: هذا الدرع درعي، لم أبع، ولم أهب.

فقال لليهودي: ما تقول.

قال: درعي وفي يدي.

قال شريح: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنة؟

قال: نعم، الحسن ابني وقنبر يشهدان أنَّ الدرع درعي.

قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الابن للاب لا تجوز.

فقال عليٌّ: سبحان الله، أرجلٌ من أهل الجنّة لا تجوز شهادته ; سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه. وقاضيه يقضي عليه ; أشهد أنَّ هذا الدين على الحق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقط منك ليلاً.

وتوجّه مع عليٍّ يُقاتل معه بالنهروان فقتل.

النموذج الرابع: كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دخل ليلة في بيت المال ليكتب قسمة الاموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ (عليه السلام) السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك، فقال: كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه.

النموذج الخامس: روى أبو إسحاق الهمداني أنَّ امرأتين أتتا عليّاً (عليه السلام) إحداهما من العرب، والأُخرى من الموالي، فسألتاه، فدفع إليهما دراهماً وطعاماً بالسواء، فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب، وهذه من العجم.

فقال: إنّي، والله، لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق.

النموذج السادس: قدم عبد الله بن زمعة على عليٍّ (عليه السلام) في خلافته، وكان من شيعته، فطلب منه مالاً، فقال: إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين، وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يعطي ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) أكثر من حقّهما، فانظر إلى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع لولديه، وبأخيه من أبويه، أعني عقيلاً.

النموذج السابع: عن حُميد بن هلال، أنّ عقيلاً سأل عليّاً (عليه السلام) فقال: أنّي محتاج وفقير.

فقال: حتّى يخرج عطائي.

فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك.

فقال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين قد ائتمنوني عليها؟! فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى الحوانيت، فقل: دقّ الاقفال وخذ مافي الحوانيت.

وبعبارة أُخرى: قال له: انطلق فخذ مافي حوانيت الناس.

فقال: تريد أن تتخذني سارقاً.

قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً! وأُعطيك أموال الناس؟

فقال: لاتين معاوية. قال: أنت وذاك.

فأتى معاوية، فأعطاه مائة ألف، ثمَّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك علي، وما أوليتك.

قال: فصعد المنبر، فحمد الله ثمَّ قال: أيّها الناس، إنّي أُخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه عليَّ، وأردت معاوية على دينه فاختارني على دينه.

فقال معاوية: هذا الذي تزعم قريش أنّه أحمق!

النموذج الثامن: يُحكى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولّى أبا الاسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثمَّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني؟ فوالله ما خنت ولا خونت. قال: بلغني أنَّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك.

ويروى أنَّ عليّاً (عليه السلام) أرسل أبا أمامة الباهلي - عثمان بن حنيف - بحكومة البصرة، فأخبره رجل بأنّه دُعي إلى ضيافة، فكتب إليه: «أمّا بعد يابن حنيف، فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الالوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإنَّ لكل مأموم إماماً يُقتدى به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعْمِهِ بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تِبْراً، ولا ادخرت من غنائمها وَفْرَاً، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمْرَاً. إلى آخر كتاب المذكور في «نهج البلاغة» كتاب رقم «45».

إلى هنا نكتفي من عرض نماذج لعدل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وزهده، وقد رواها جمع كثير من أعلام القوم وحفّاظهم في كتبهم ومسانيدهم.

قضاء علي (عليه السلام)

قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عليّ (عليه السلام): الحمد لله الذي مَنَّ على العباد بمن يقضي قضاء النبي.

الاحاديث والروايات في قضاء الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كثيرة، لا يمكن حصرها، أذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال:

كان أوّل قاض بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: يا رسول الله، أتبعثني إلى كهول اليمن ولا عِلم لي بالقضاء؟! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): انطلق، فإنَّ الله سيهدي قلبك ويثبّت لسانك، إنَّ الناس سيتقاضون إليك، فإذا أتاك الخصمان فلا تقضِ لواحد حتّى تسمع كلام الاخر، فإنّه أجدر إنْ لم تعلم لمن الحق.

وقد روى العامة والخاصة قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «أقضاكم علي» والقضاء هو الفقه فاذن هو افقههم.

1 - ثورٌ قتل حماراً

على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفع ذلك إليه، وهو في أُناس من أصحابه، منهم أبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أبا بكر، إقض بينهما.

فقال: يا رسول الله، بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها شيء.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر: يا عمر، اقض بينهما. فقال كقول صاحبه أبي بكر.

فالتفت النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عليٍّ (عليه السلام) وقال له: يا علي، اقضِ.

فقال: حبّاً وكرامة، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور ديَّة الحمار، وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور.

فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده إلى السماء وقال: الحمد لله الذي مَنَّ على العباد بمَن يقضي قضاء النبيين.

ذكره الحافظ أبو الفوارس في الاربعين - ص 13 مخطوط، وكذلك ذكره العلاّمة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص 76 ط اسلامبول.

2 - قضاؤه في جماعة اتهموا بقتل رفيقهم في السفر

روى العلاّمة الشيخ كمال الدين الشافعي في «مطالب السؤول» ص 29 ط طهران - ونقلناه من كتاب إحقاق الحق ج 8 ص 79:

إنَّ سبعة أنفس خرجوا من الكوفة مسافرين فغابوا مدة، ثمَّ عادوا وقد فُقِدَ منهم واحد، فجاءت امرأته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالت: إنَّ زوجي سافر هو وجماعته، وعادوا دونه، فأتيتهم وسألتهم عنه فلم يخبروني بحاله، وقد اتهمتهم بقتله، وأسألك إحضارهم واستكشاف حالهم.

فأحضرهم (عليه السلام) وفرّقهم، وأقام كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد، ووكل به رجل يمنع أن يقرب منه أحد ليحادثه، ثمَّ استدعا واحداً فحدَّثه وسأله عن حال الرجل، فأنكر، فلمّا أنكر رفع عليٌّ (عليه السلام)صوته بالتكبير وقال: الله أكبر فلمّا سمع الباقون صوت علي (عليه السلام) مرتفعاً بالتكبير اعتقدوا أنَّ رفيقهم قد أقرَّ وحكي لعليٍّ (عليه السلام) صورة الحال.

ثمَّ استدعاهم واحداً واحداً فأقرّوا بقتله بناءً على أن صاحبهم قد أخبر علياً بما فعلوه.

فلمّا أقرّوا بذلك قال الاوّل: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قد أقرّوا وما أنا أقررت.

قال له (عليه السلام): هؤلاء رفاقك قد شهدوا عليك، فما ينفعك إنكارك بعد شهادتهم.

فاعترف أنّه شاركهم في قتله، فلمّا كمل اعترافهم أقام عليهم حكم الله تعالى وقتلهم به، فكان ذلك من عجائب فهمه وغرائب علمه.

كما ذكر هذه القضية العلاّمة الزمخشري في «الفائق» ج2 ص 156 ط القاهرة.

ومنهم العلاّمة أبو هلال العسكريّ المتوفى بعد سنة 395 بقليل في «الاوائل» ص 143 وغيرهم.

3 - قضاؤه (عليه السلام) في ردّ مال استودعه رجلان

روى حنش بن المعتمر أنّ رجلين استودعا امرأة من قريش مائة دينار وأمرها أن لا تدفع إلى واحد منهما دون صاحبه، فأتاها أحدهما فقال: إنَّ صاحبي هلك فادفعي إليَّ المال. فأبت، فاستشفع إليها، ومكث يختلف إليها ثلاث سنين.

قال: فدفعت إليه المال.

ثمَّ جاء إليها صاحبه فقال: أعطيني المال.

فقالت له: قد أخذه صاحبك فارتفعوا إلى عمر، فقال له عمر: ألك بيّنة.

فقال: هي بيّنتي.

قال: ما أراك إلا ضامنة. فقالت: أنشدك الله إلاّ ما رفعتها إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال: فرفعها إليه، فأتوه في حائط وهو يسيل الماء، وهو مؤتزر بكساء، فقصّوا عليه القصّة، فقال للرجل: إئتني بصاحبك وإليَّ متاعك.

رواه جماعة من أعلام القوم، منهم: العلاّمة أخطب خوارزم في كتابه «المناقب» ص 60 ط تبريز.

ومنهم العلاّمة الطبري «في ذخائر العقبى» ص 79 ط مصر.

4 - قضاؤه وحكمته، ومناقبه

تزوّج رجل في زمانه (عليه السلام) بامرأتين فولدتا في ليلة مظلمة، فأتت واحدة بصبي والأُخرى بأُنثى، فاختصمتا في الصبى إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فأمر كلّ واحدة أن تحلب من لبنها شيئاً ثمّ وزن اللبنين، فرجح أحدهما، فحكم لصاحبه الراجح بالصبي.

فقيل: من أين أخذت هذا؟ قال: من قوله تعالى: (للذكر مثل حظ الأُنثيين)([1]) فإنَّ الله تعالى قد فضّل الذكر في كلّ شيء حتّى في غذائه.

روى ذلك العلاّمة الصفوري في «نزهة المجالس» ج2 ص 211 ط القاهرة، ونقلناه من كتاب إحقاق الحق ج 8 ص 81.

حكمه في الحامل الزّانية

وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، حيث قال لعمر بن الخطاب: (ما معناه) إذا كان لك عليها سلطان، فما لك على الجنين سلطان.

المرأة التي وضعت لستة أشهر

وهو الذي أفتى ببراءة المرأة التي وضعت لستة أشهر، في حين أفتى عثمان برجمها بتهمة الزنا، حيث استدلّ على الاية الكريمة حيث قال تبارك وتعالى (وحمله وفصاله ثلاثين شهراً)([2]) وفي موضع آخر قال: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)([3]) أربع وعشرون شهراً رضاعة وستة أشهر حمل = ثلاثين شهراً، وهناك قضاء وفتاوى عجيبة وكثيرة ذكرنا بعضها في الفصول السابقة([4]).

تفسير القرآن

ومن العلوم التي حاز بها قصب السبق: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صِحَّة ذلك، لان أكثره عنه وعن عبدالله إبن عباس، وقد علم الكل ملازمته لعلي (عليه السلام) وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخرّيج مدرسته، وقد قيل له: أين علمك من علم ابن عمك عليّ؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى بحر المحيط.

([1]) سورة النساء : آية 11 .

([2]) سورة الاحقاف : آية 15 .

([3]) سورة البقرة : آية 233 .

([4]) فليراجع كتاب القضاء لامير المؤمنين (عليه السلام) للعلامة المحقق محمد تقي التستري ، طبع النجف .

علم النحو

ومن العلوم التي امتاز بها: علم النحو والعربية، وقد عَلِمَ الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الاسود الدؤلي جوامعه وأصوله، وجملتها: قال: «الكلام كله ثلاثة أشياء: إسم، وفَعِل، وحَرف» ومن جملتها تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الاعراف إلى الرفع، والنصب، والجر، والجزم ; وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لانّ القوّة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

قال ابن سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلاّ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال الشريف الرضي: من سمع كلامه (عليه السلام)، لا يشك أنه كلام من قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلاَّ حِسّه، ولا إلاّ نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلّتاً سيفه، فيسقط الرقاب ويجدّل الابطال، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع ذلك زاهد الزهاد، وبدل الابدال، وهذه من فضائله العجيبة التي جمعت بها بين الاضداد.

فلامير المؤمنين (عليه السلام) قضايا وأحكام وأجوبة مسائل عجيبة، منها ما وقع في حياة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها في عهد الخلفاء الثلاثة، ومنها في خلافته هو (عليه السلام)، وقد نقل ذلك فطاحل العلماء وأرباب السير والتاريخ في كتبهم.

1 - قال شريح: كنت أقضي لعمر بن الخطاب، فأتاني يوماً رجل فقال لي: يا أبا أمية إنّ رجلاً أودعني امرأتين، إحداهما حرة مهيرة، والاخرى سرية، فجعلتهما في دار، وأصبحت اليوم قد ولدتا غلاماً وجارية، وكلتاهما تدعي الغلام وتنتفي من الجارية، فاقض بينهما بقضائك، فلم يحضرني شيء فيهما، فأتيت عمر فقصصت عليه القصة فقال: فما قضيت بينهما؟ قلت: لو كان عندي قضائهما ما أتيتك.

فجمع عمر جميع من حضر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وأمرني فقصصت عليهم ما حدثته به، وشاورهم وكلهم ردوا الرأي إليَّ وإليه.

فقال عمر: ولكني أعرف حيث مفزعها وأين منتزعها.

قالوا: كأنّك أردت ابن أبي طالب؟

قال: نعم، وأين المذهب عنه.

قالوا: فابعث إليه يأتيك.

فقال: لا، له شمخة من هاشم، وأثرة من علم، يؤتى لها ولا يأتي، وفي بيته يؤتى الحكم، فقوموا بنا إليه.

فأتينا أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجدناه في حائط له يركل فيه على مسحاته ويقرأ: (أيحسبُ الانسانُ أن يُتركَ سُدى) ويبكي، فأمهلوه حتى سكن، ثم استأذنوا عليه، فخرج إليهم وعليه قميص قد نصّف أردانه، فتوجه علي إلى عمر، وقال: «ما الذي جاءك؟».

فقال: عرض، وأمرني فقصصت عليه القصة.

قال: «فبم حكمت فيها»؟.

قلت: لم يحضرني حكم فيها.

فأخذ (عليه السلام) بيده من الارض شيئاً ثم قال: «الحكم فيها أهون من هذا».

ثم أحضر المرأتين وأحضر قدحاً، ثم دفعه إلى إحداهما فقال: «احلبي فيه»، فحلبت فيه ثم وزن القدح ، ودفعه إلى الاخرى فقال: «احلبي فيه»، فحلبت فيه، ثم وزنه، فقال لصاحبة اللبن الخفيف: «خذي ابنتك»، ولصاحبة اللبن الثقيل: «خذي ابنك»، ثم التفت إلى عمر فقال: «أما علمت أنّ الله تعالى حط المرأة عن الرجل فعجل عقلها وميراثها دون عقله وميراثه، وكذلك لبنها دون لبنه».

فقال عمر: «لقد أرادك الحق يا أبا الحسن ولكن قومك أبوا.

فقال (عليه السلام): «هوّن عليك أبا حفص، إن يوم الفصل كان ميقاتاً»([5]).

2 - سُئِل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رجل ضرب رجلاً على هامته فادعى المضروب أنه لا يبصر شيئاً، ولا يشم الرائحة، وأنّه قد ذهب لسانه.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن صدق فله ثلاث ديات».

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يعلم أنّه صادق؟.

فقال: «أمّا ما ادعاه أنه لا يشم رائحة، فإنّ يدنى منه الحراق، فإن كان كما يقول وإلاّ نحّى رأسه ودمعت عينه ، فأمّا ما ادعاه في عينيه، فإنّه يقابل بعينيه الشمس ، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينيه، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين ; وأمّا ما أدعاه في لسانه، فإنه يضرب على لسانه بإبرة، فإن خرج الدم احمر فقد كذب، وإن خرج الدم أسود فقد صدق»([6]).

3 - روي عن الصادق (عليه السلام): أنّ رجلاً أقبل على عهد علي (عليه السلام) من الجبل حاجاًومعه غلام له، فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي، بل أنا مولاك، فما زال ذا يتوعد ذا، وذا يتوعد ذا ويقول: كما أنت حتى نأتي الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين، فقال الذي ضرب الغلام: هذا غلام لي وإنه أذنب فضربته، فوثب عليّ.

وقال الاخر: هو والله غلام لي، وإنّ أبي أرسلني معه ليعلمني وإنه وثب عليّ يدعيني ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذّب هذا ، وهذا يكذّب هذا.

فقال (عليه السلام): «انطلقا فتصافيا ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلاّ بحق».

قال: فلما أصبح أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لقنبر: «اثقب في الحائط ثقبين» ; وكان (عليه السلام) إذا أصبح عقّب حتى تصير الشمس على رمح، فجاء الرجلان، واجتمع الناس فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها، لا يخرج منها.

فقال لهما: «ما تقولان»؟ فحلف هذا أنّ هذا عبده، وحلف هذا أنّ هذا عبده.

فقال لهما: قوما فإني لست أراكما تصدقان»، ثم قال لاحدهما: «ادخل رأسك في هذا الثقب»، ثم قال للاخر: «ادخل رأسك في هذا الثقب».

ثم قال: يا قنبر عليَّ بسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عجل اضرب به رقبة العبد منهما»، قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً، ومكث الاخر في الثقب.

فقال علي (عليه السلام) للغلام: «ألست تزعم أنّك لست بعبد؟»، فقال: بلى، ولكن ضربني، وتعدّى عليَّ.

فتوثّق له أمير المؤمنين ودفعه إليه([7]).

4 - أُتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشباب من الانصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت: إنّ هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء فقلن له: إنّ ببدنها وثوبها أثر المني ، فهمّ بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: تثبّت في أميري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه وشمه وذاقه فعرف طعمه، وزجر المرأة فاعترفت([8]).

5 - روي أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بينة، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع والاختلاف.

فقال (عليه السلام) عند تماديهما في التنازع: «ائتوني بمنشار».

فقالت المرأتان: ما تصنع؟.

قال: «أقده نصفين، لكل واحدة منكما نصفه» فسكتت إحداهما، وقالت الاخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها».

فقال (عليه السلام): «الله أكبر، هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقت عليه وأشفقت»، فاعترفت المرأة بأن الحق مع صاحبتها، والولد لها دونها، فسرى عن عمر، ودعا لامير المؤمنين بما فرج عنه من القضاء([9]).

6 - رفع إلى عمر: أنّ عبداً قتل مولاه، فأمر بقتله، فدعاه علي (عليه السلام) فقال له: «قتلت مولاك»؟.

قال: نعم.

قال: «ولم قتلته»؟.

قال: غلبني على نفسي، وأتاني في ذاتي.

فقال (عليه السلام) لاولياء المقتول: «أدفنتم وليكم؟».

قالوا: نعم.

قال: «ومتى دفنتموه»؟.

قالوا: الساعة.

فقال (عليه السلام) لعمر: «احبس هذا الغلام ولا تحدث فيه حدثاً حتى تمر عليك ثلاثة أيام». ثم قال لاولياء المقتول: «إذا مضت ثلاثة أيام أحضرونا».

فلما مضت ثلاثة أيام حضروا، فأخذ علي (عليه السلام) بيد عمر وخرجوا حتى وقفوا على قبر الرجل، فقال علي (عليه السلام) لاوليائه: «هذا قبر صاحبكم؟».

قالوا: نعم.

قال: «احفروا» حتى انتهوا إلى اللحد فقال: «اخرجوا ميتكم»، فنظروا إلى أكفانه في اللحد فلم يجدوه، فأخبروه بذلك.

فقال (عليه السلام): «الله أكبر، والله ما كَذبت ولا كُذبت، سمعت رسول الله يقول: من يعمل من أمتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك، فهو يؤجل إلى أن يوضع في لحده، فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاث حتى تقذفه الارض إلى جملة قوم لوط المهلكين، فيحشر معهم»([10]).

7 - قال عاصم بن حمزة: إنّ غلاماً وامرأة أتيا عمر فقال الغلام: هذه والله أمي، حملتني في بطنها تسعاً، وأرضعتني حولين كاملين فانتفت مني وطردتني، وزعمت أنها لا تعرفني ; فأتوا بها مع أربعة أخوة لها، وأربعين قسّامة يشهدون لها أن هذا الغلام مدع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأنّها بخاتم ربها ولم يتزوج بها أحد.

فأمر عمر بإقامة الحد عليه، فرأى علياً (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين احكم بيني وبين أمي.

فجلس (عليه السلام) موضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (عليه السلام): «لكِ ولي؟».

قالت: نعم، هؤلاء الاربعة إخوتي.

فقال (عليه السلام): «حكمي عليكم جائز وعلى أختكم؟».

قالوا: نعم.

فقال (عليه السلام): «أُشهِدُ الله وأُشهِدُ من حضر، أني زوجت هذه الامرأة من هذا الغلام بأربعمائة درهم، والنقد من مالي، يا قنبر عليّ بالدراهم»، فأتاه بها فقال: «خذها فصبها في حجر امرأتك، وخذ بيدها إلى المنزل».

فصاحت المرأة: الامان يا ابن عم رسول الله، هذا والله ولدي، زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا، فلما بلغ وترعرع أنفوا، وأمروني أن أنتفي منه وخفت منهم.

فأخذت بيد الغلام فانطلقت به، فنادى عمر: لولا علي لهلك عمر([11]).

هذه بعض احكام الامام علي (عليه السلام) وقضاءه ولو أردنا الاسترسال لطال بنا المقام وخرجنا عن الاختصار.

شجاعةُ عليٍّ (عليه السلام)

أُقدِّم لك - عزيزي القارىء - في هذا الفصل نبذة منتقاة من الاحاديث، الواردة في شجاعته (عليه السلام)، وهي أشهر من أن تذكر، مشيراً في ذيل كلّ حديث إلى محل وروده في كتاب إحقاق الحق، وتجد التفصيل في الكراس الاول من هذه السلسلة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

* عليٌّ مثل موسى في شوكته وشجاعته ج4/ ح403.

* عليٌّ أشجع الناس قلباً. ج4/ 107، 150، 331، ج20/ 288، 442، 415، 416.

* إنَّ لعليٍّ الشجاعة كما أنَّ للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسالة والنبوّة. ج5/ 2.

* إنَّ الله تعالى أيَّد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعليٍّ. ج6/ 139 - 153.

* عليٌّ صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدنيا والاخرة. ج4/ 265، 762.

* عليٌّ قتل أصحاب الالوية يوم الخندق. ج5/ 72.

عليٌّ قاتل الكفرة. ج4/ 235.

* عليٌّ قاتل الفجرة. ج4/ 234، ج5/ 50.

* عليٌّ قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ج4/ 85، 248.

* عليٌّ قاتل اللات والعزى. ج6/ 110.

* لأُقاتلن العمالقة بيد عليٍّ. ج6/ 500.

* عليٌّ يقاتل على التأويل. ج5/ 52، ج6/ 24 - 27.

* ضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين. ج6/ 4 - 8.

* عليٌّ أسدُ الله الغالب. ج4/ 379.

* عليٌّ أشجع العرب. ج5/ 60.

* لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار. ج6/ 110.

* يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان ووضع عملك يوم أحد على كفّة أخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق، وإنَّ الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحجب من السماوات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربِّ العالمين، وإنَّ الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبط كلّ نبيٍّ ورسول وصدّيق وشهيد. ج6/ 10.

هذا ماكان في موسوعة احقاق الحق

* * *

([5]) قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للتستري 121 .

([6]) وسائل الشيعة 19 - 279.

([7]) وسائل الشيعة 18/209 . قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للتستري ص 7 . ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الحكام أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقد ترافع اليه في قتيل ، والتهمة موجهة إلى جماعة ولم يتمكن من تشخيصه من بينهم مع كثرة المرافعات وفي آخر جلسة قال : برأتكم المحكمة ، فخرجوا ، فصاح القاتل يقف ، فوقف أحدهم ، وأخيراً اعترف .

([8]) الغدير 6/126 عن الطرق الحكمية لابن القيم .

([9]) الارشاد للشيخ المفيد 96 .

([10]) لالىء الاخبار للتويسركاني 589 .

([11]) المناقب 1/494 .

أمّا شجاعته ونجدته

أمّا شجاعته وبأسه ومراسه في محارب الاقران ورباطة جأشه حيث تزلزل الاقدام وقلوب الشجعان واجفة خائفة وهو ثابت كالطود الشامخ لا تزلزله العواصف ولا تزيله القواصف ذكرت ذلك في فصل آخر.

حيث افتخر كل قرن شجاع بالانتماء إليه، حتى أن معظم زعماء وملوك العالم الاسلامي ترسم صورته واسمه على سيوفهم، وسل عن الحروب والغزوات التي خاضها أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مدافعاً عن بيضة الاسلام، كغزوة بدر، وأحد، والخندق، وبني قريضة، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة، وبني جذيمة وحنين، وبني زبيدة وأخيراً غزاة السلسلة، وغيرها المنتشرة ذكرها في كتب السير والتاريخ

وهل بعد نداء جبرئيل بين السماء والارض يوم أحد، «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي» مقالة قائل..؟؟ وأما حروبه ومجاهدته مع أصحاب الجمل بالبصرة الناكثين وأصحاب صفين الباغين، والنهروان الخارجين المارقين، تجدها في كتب السير والتواريخ الاسلامية منتشرة تكاد تصل حد التواتر.

هذا ما كان من شجاعته في حروبه وغزواته([12]).

ليلة الهجرة ومبيت الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

اذكر الواقعة بالمعنى، لا بالنص، حسبما استخلصتها من السيِّيَرِ والروايات والتواريخ وخاصّة من كتاب «عليٌّ من المهد إلى اللحدِ» للسيّد القزويني ص57، وفي حياة مؤمن قريش أبي طالب رضوان الله عليه ورحم الله من قال وصدق:

ولولا أبو طالب وابنه * * * لما مثل الدين شخصاً وقاما

فذاك بمكّة آوى وحامى * * * وهذا بيثرب جسّ الحماما

فلّله ذا فاتحاً للهدى * * * ولله ذا للمعالي ختاما

كان رسول الله (عليه السلام) في حماية أبي طالب وابنه علي (عليه السلام)، وفي مأمن من مؤامرات قريش ومكائدهم، وعلى الرغم من كلّ ذلك ما كان ينجو من الاعتداءات والاذى إبّان الدعوة، من رميه بالحجارة، وقَذْفِهِ بالدم، ورفث القرابين التي تُنحر للاصنام، وتلويث ملابسه الطاهرة عندما كان يطوف بالكعبة أو يصلّي فيها.

وكانوا يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل وسيلة تصل أيديهم الاثمةِ إليه، أو يجدون سبيلاً، حتّى وصل الامر بهم إلى محاربته محاربة نفسية، هادفين من وراء ذلك خنق الدعوة في مهدها قبل أن يستفحل الامر، وينتشر خارج نطاق مكّة، لا سيّما إذا وجدت مخرجاً إلى يثرب أو المدن الكبيرة الاخرى، ولما فشلت مساعي قريش في صدِّ الدعوة وأعياهم الجهد والحيل، عند ذلك عمدوا إلى صبيانهم وغُرّو جهالهم أن يرموا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحجارة والرفث والتراب عندما يمر بطريقه عليهم.

شكى ذلك إلى أخيه وابن عمِّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقال له: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إذا خرجت أخرجني معك.

كان يرافقه (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّما يخرج إلى الحرم للطواف وقد تعرّض له الصبيان بالطريق فكان علي (عليه السلام) يمسك الواحد منهم من أُذنه فيقضمها، أو يمسك أنفه فيجدعه، وبعدها صاروا يهربون من بين يديه صائحين باكين إلى آبائهم، يقولون: قضمنا علي، قضمنا علي. وما عادوا بعد ذلك إلى أذيّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسُمِّي عليٌّ (عليه السلام) من ذلك الحين بالقضم واشتهر به.

وهكذا كان ديدنهم في أذيّة النبي ومحاربته، وكان في كلّ تلك المصائب صابراً صامداً كما أمره تعالى في محكم كتابه

المجيد: (فاستقم كما أمرت)([13]) أو (واصبروا إنّ الله مع الصابرين)([14]) أو (فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل)([15]).

إلى أن لبّت نداء ربّها زوجته الطاهرة خديجة الكُبرى سلام الله عليها، والتي كانت احد أركان دعوته المجيدة، وبعد فترة قصيرة من فراق زوجته التحق بالرفيق الاعلى عمّه أبو طالب سلام الله عليه وبموته انهدَّ ركنه الثاني، فجزع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحزن عليهما حزناً شديداً، حتّى سُمّيَ ذلك العام بعام الاحزان، لفقد الاحبَّة والكافلين له، وقد كانا له بمنزلةِ الجناحين يطير بهما.

وبقي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده مع ابن عمّه علي بن أبي طالب (عليه السلام)وعدد من المؤمنين المستضعفين، يقارعون الكفار والمشركين من قريش وغيرهم ويتحمّلون الاذى ; عند ذلك نشط الكفّار والمشركون بعد فقد زوجته وعمِّه، وقامت قيامتهم لمّا خلا الجو لهم، وهبّوا عن بَكرةِ أبيهم وعزموا على اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتلهِ.

اجتمعت مشيخة قريش ورؤساء قبائلهم في دار الندوة يتداولون الامر، ويتذاكرون في كيفية تنفيذ المؤامرة والخلاص منه ومن دعوته، واشترك معهم إبليس لعنه الله بصفة رجل غريب جاء من نجد ودخل معهم، فلمّا أنكروه قال: إنّي من نجد أسمع منكم وأُشير عليكم.

وبعد المناقشات والمداولات، استقر رأيهم على أن تخرج قريش من كل قبيلة منهم رجلاً شجاعاً، ويبيتوا على دار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند الفجر يهجموا عليه بجمعهم ويضربوه ضربة رجل واحد ويقتلوه، وعند ذلك يتفرّق دمه بين قبائل قريش، فحينئذ لا يستطيع بنو هاشم قتال جميع قبائل قريش والاخذ بثأره، فيضطرون عند ذلك بقبول ديته، والرضوخ لجمعهم.

وكان أبو لهب عمّه مع المشركين مشتركاً في المؤامرة.

وفي رواية: كان المتآمرون أربعون رجلاً يمثّلون أربعين قبيلة.

وفي رواية أُخرى: كانوا خمسة عشر رجلاً يمثلون خمسة عشر قبيلة.

وفي رواية ثالثة: كان المتآمرون عشرة رجال يمثلون عشرة قبائل.

على أي حال، نزل الامين جبرائيل بهذه الاية المباركة: (وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَو يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ)الانفال آية 30.

وأخبره بتفاصيل المؤامرة، وأمره أن يهاجر من مكّة هذه الليلة إلى يثرب، ويجعل أخاه وابن عمّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) مكانه، والمبيت على فراشه.

فأرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) يخبره بتفاصيل المؤامرة، وهبوط الامين جبرائيل بالاية، قائلاً له: يا علي، إنَّ الروح الامين هبط عليَّ الساعة يخبرني أنَّ قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وأوحى إليَّ عن ربّي أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار حراء في جبل ثور ، تحت ليلتي هذه، وقد أمرني أن آمرك بالمبيت على فراشي وفي مضجعي، لتخفي بمبيتك عليهم أثري، فما أنت قائل؟

فقال عليٌّ (عليه السلام): أوتسلمنَّ بمبيتي يا رسول الله؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم.

فتبسَّم ضاحكاً، وأهوى إلى الارض ساجداً شاكراً لله.

فكان علي (عليه السلام) أوّل من سجد للهِ شكراً، وأول من وضع جبهته على الارض معفرها بالتراب، وقال: فداك سمعي وبصري، مُرني بما شئت تجدني مطيعاً مُنفِّذاً.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فارقد على فراشي، واشتمل ببردي الحضرمي ; ثمَّ إنّي أُخبرك يا عليّ، إنَّ الله تبارك وتعالى، يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدُّ الناس بلاءً الانبياء، ثمَّ الامثل فالامثل ; وقد امتحنك يابن أُمّ وامتحنني فيك، مثل ما امتحن به خليله إبراهيم (عليه السلام)، والذبيح إسماعيل (عليه السلام)، فصبراً صبراً،

فإنَّ رحمة الله قريب من المحسنين.

ثم ضمَّه إلى صدره (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى إليه وجداً به، وفرقاً عليه، بكى عليٌّ (عليه السلام) جزعاً على فراقه.

فجاءت قريش قاصدةً تنفيذ خطتها ومؤامرتها، وأحاطوا بالدار، وجلس أكثرهم بالباب يحرسونها ريثما يطلع الفجر ليثبوا على داره وثبة رجل واحد ويقتلوه.

وخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الدار مارَّاً من بين أيديهم، آخذاً حفنةً من التراب رمى با على وجوههم، قائلاً لهم: شاهت الوجوه، وقرأ الاية الكريمة: (وجعلنا من بين أيديهم سدَّاً ومن خلفهم سدَّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ([16]) فغشي على أعينهم ولم يروا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا مرّ بهم، وانطلق متوجِّهاً إلى غار ثور، وصادفه أبو بكر بالطريق فالتحق به ورافقه المسير.

عند ذلك أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إنِّي آخيت بينكما، وجعلتُ عمر أحدكما أطول من الاخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل واحد منهما الحياة، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليهما: ألا كنتما مثل عبدي علي بن أبي طالب! آخيتُ بينه وبين محمّد عبدي ورسولي، فبات على فراشه فادياً له بنفسه ويؤثره بالحياة ; اهبطا إلى الارض فاحفظاه من عدوه. فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ، من مثلك يابن أبي طالب، يباهى الله سبحانه بك ملائكته؟!

وأنزل الله عزَّ وجلَّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بطريقه إلى يثرب في شأن علي بن ابي طالب (عليه السلام) هذه الاية الكريمة المباركة: (ومن الناس مَن يَشري نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رؤوف بالعباد) ([17]).

بات عليٌّ (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ملتحفاً ببرده الحضرمي، والمشركون يرمونه بالحجارة بين الفينة والفينة، وهم يتصورون أنّه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو صابر يتضور من شدّة الالم، ولا يُبدي أي حركة لئلا ينكشف أمره.

فلما طلع الفجر وثب المشركون على الدار شاهرين سيوفهم، قاصدين فراش النبي، صلوات الله عليه وآله، فنهض أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من فراش النبي شاهراً سيفه، ولمّا رأوه أسقط ما في أيديهم، وقالوا: عليٌّ هذا؟! قال: نعم.

قالوا: أين محمّد؟

قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

قالوا: كنتَ تخدعنا منذ الليل بنومك على فراشه، وظننّا أنّك محمّد؟

فتركوه وتتبعوا أثره حتّى وصلوا إلى باب الغار في جبل ثور، الذي اختفى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه أبو بكر، فوجدوا على باب الغار نسيج العنكبوت، وطير راقد على فراخه، فقالوا: إلى هنا انقطع أثره، أمَّا أنّه صعد إلى السماء، وأو نزل إلى الارض، ولا يمكن دخول الغار، وهذا نسيج العنكبوت وعش الطير ببابه. فرجعوا خائبين.

وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاحبه ثلاثة أيّام في الغار، وكان عليٌّ (عليه السلام) يأتيه بالطعام كلَّ يوم، وفي اليوم الثالث جاء عليٌّ (عليه السلام) ومعه الدليل وثلاث جمال، واحدٌ له، والاخر لصاحبه، والثالث للدليل، فركبها وانطلقا إلى يثرب.

وسبق أن أوصاه: إذا أتاك كتابي اقض ديني، وردَّ الودائع التي عندي إلى أصحابها، والتحق بي مع الفواطم.

وكان (عليه السلام)، يعتز ويفتخر بهذه الموفقية التي نالها من عند الله تعالى، فأنشد يقول:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى * * * ومَن طاف بالبيت العتيق وبالحجرِ

محمّد لمّا خاف أن يمكروا به * * * فوقّاه ربّي ذو الجلال من المكرِ

وبتُّ أراعيهم حتّى ينشروننـي * * * وقد وطّنت نفسي على القتل والاسرِ

وبات رسول الله في الغار آمناً * * * هناك وفي حفظ الاله وفي سترِ

أقام ثلاثاً ثمّ زمت قلائصٌ * * * قلائص يفرين الحصى أينما يفري

هذا العمل العظيم والتضحية الجسيمة التي أقدم عليها هذا البطل العظيم وهو لا يزال في شرخ الشباب وباكورة عمره الشريف، الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه، وقع من أهل السماء موقع الاعجاب والاكبار والتقدير، وبهذه المواساة الفريدة في تاريخ الاسلام، بل وفي تأريخ الانبياء كافّة عدا تضحية جده الامجد النبي إسماعيل (عليه السلام)، إذ قال له أبوه إبراهيم الخليل عليه أفضل التحية والسلام: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)([18]).

فلا غرو ولا عجب أن طأطأ عظماء العالم رؤوسهم إجلالاً وإكباراً لعظمتهِ وإقدامه وتضحيته صلوات الله وسلامه عليه.

هجرة علي (عليه السلام) إلى المدينة

أما كيفية هجرة علي (عليه السلام)، من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية. انقلها مجملاً.

كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن ابي طالب (عليه السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقلة التلوم([19])، وكان الرسول بعث إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)تهيأ للخروج والهجرة.

قال ابن شهرآشوب: واستخلفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لرد الودائع، لانه كان أميناً، فلما أدّاها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قِبَل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي.

وقال ابن شهرآشوب أيضاً: أمره النبي أن يؤدي عنه كل دَين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه، فإذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا - إذا ملا الليل بطن كل واد - إلى ذي طوى، وخرج علي (عليه السلام) بفاطمة الزهراء (عليها السلام) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وقد قيل: هي ضباعة وفي رواية، وفاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب، وتبعهم أم أيمن وابنها أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبو واقد رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي (عليه السلام): إرفق بالنسوة أبا واقد! إنهن من الضعائف، قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال: الطلب - فقال علي (عليه السلام): أربع عليك، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الان إليك بأمر تكرهه، ثم جعل - يعني علياً (عليه السلام) - يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلاّ الله فارفع ظنكا * * * يكفيك رب الناس ما أهمّكا

وسار، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعي جناحاً وهو افتكهم، فأقبل علي (عليه السلام) على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الابل وأعقلاها. وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أبا لك، قال: فان لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شَعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال علي (عليه السلام) بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته، وتختله علي (عليه السلام) فضربه على عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كاثبة فرسه، فكان علي (عليه السلام) يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد * * * آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، بعد قتل جناح فقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب، قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه واهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه

أيمن وأبي واقد فقال لهما: اطلقها مطاياكما، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوَّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، يُصَلّون للهِ ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى علي (عليه السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزَّ وجلّ ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا قبا، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: (الَّذِين يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقعُوداً وَعلى جُنُوبِهم وَيتَفكّرُون فِي خَلقِ السَّمَاواتِ والارْض ربّنا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً)([20]) إلى قوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُم رَبهُم أنِي لا أُضِيعُ عَمَل عَامل مِنْكُم مِن ذَكَر أو أُنْثى).

ولما نزل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقباء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم علي (عليه السلام)، فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تُقِم ههنا تنتظر علياً، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كلاّ، ما أسرعه. ولست أُريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عزَّ وجلَّ وأحبّ أهل بيتي إليَّ فقد وقاني بنفسه من المشركين. فبقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوماً فوافى عليٌّ بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة لما بقدميه من الورم. وتفل في يديه وأمرَّها على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً.

لقد وصل الامام علي (عليه السلام) مع الفواطم والمؤمنين قبا يوم الاثنين، ومكث مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يوم الخميس، وفي صباح يوم الجمعة تحرك الركب الطاهر يرافعه أمير المؤمنين (عليه السلام) بصحبة المؤمنين يقصدون يثرب، فادركته الصلاة - صلاة الظهر - أو صلاة الجمعة - في بني سالم بن عوف فصلاها عندهم، وبعد ان اكمل صلاته دعا براحلته فركبها وسار في ركبه المؤمنون وهم أكثر من مائة رجل يحملون السلاح محيطين به يميناً وشمالاً.

ولما دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المؤمنين يثرب استقبله أهلها بالترحاب والاهازيج والاشعار التي تنبأ عن شغفهم وسرورهم منها:

طَلَع البدرُ عَلينَا مِن ثَنيَّاتِ الوَداع * * * وَجب الشُكر عَلَينا مَا دعَا للهِ داع

ايها المبعوث فيا جئت بالامر المُطاع * * * جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

وهكذا رحب أهل يثرب بمقدم نبيهم الكريم.

وأما ما ظهر من شجاعته (عليه السلام) في حروبه وغزواته مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ابتداءً من واقعة بدر، واحد، والاحزاب والخندق، وحنين، وخيبر، وذات السلاسل. التي تنزلت فيه سورة والعاديات، وغيرها من الحروب والغزوات، وفتح مكة، وتكسير الاصنام وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في العدد الاول من هذه الكرسات ملخصاً في سيرة النبي الكريم.

فضلاً عما ذكرنا من حروبه الثلاثة في عهد خلافته، الناكثين في البصرة، والقاسطين في صفين، والمارقين الخوارج، في النهروان بكراس عنوانه «ثم عقر الجمل» ولا يحتاج لتكراره.

يوم الغدير

قال الله تبارك وتعالى: (يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَمْ تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعصِمُكَ مِن النَّاسِ) المائدة: 67.

أيها الاخوة أعرض لكم واقعة الغدير، تلك الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة، يوم تتويج الامام المرتضى (عليه السلام) بتاج الخلافة العظمى والامامة الكبرى.

وهذا البحث من أهم البحوث الاسلامية، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الاسلامية، ويمكن لنا أن نقول: إن الكتب والمؤلفات التي كُتِبَت حول هذا الموضوع بالذات وحول الامام والخلافة بصورة عامة - قد جاوزت العد والضبط والاحصاء، من إثبات أو ردٍّ أو مناقشة وما يدور في هذا الفلك.

ومن الجدير أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونثراً، ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاءِ بصورة موجزة رعاية للاختصار.

ومن أعجب الامور أن بعض المسلمين بعد إقامة الادلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال: إن علياً هو الافضل ولكن غيره أصلح!! اقول: سبحان الله، هذه كلمة تُضحك الثكلى! لان معناها: إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الاصلح!؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدَّما غير الاصلح، نعوذ بالله من الخطل.

والافضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهي بنا البحث؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الايجاز والتفصيل، ولكن المفاد واحد، وهذه صورة الواقعة:

لما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه الامين جبرئيل عن الله بقوله: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من رَّبِّكَ)([21]) الاية. وأمره أن يُقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يُردَّ من تقدم منهم، ويُحبَس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد.

حتى إذا أخذ القوم منازلهم فَقُمَّ (كُنِسَ) ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاءِ، وظُلِّلَ لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاته قام خطيباً وسط القوم على منبر من أقتاب الابل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته قائلاً:

«الحمد لله ونستيعنه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضَل، ولا مُضل لمن هَدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله - أما بعد -: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلاّ مثل نصف عمر الذي قبله، وأني أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون»؟

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً.

قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور»؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: «اللهم اشهد».

ثم قال: «أيها الناس ألا تسمعون»؟

قالوا: نعم.

قال: «فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاءَ وبُصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين».

فنادى مناد: وما الثَّقلان يا رسول الله؟

قال: «الثقل الاكبر كتاب الله طرف بيد الله عزَّ وجلَّ وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والاخر الاصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا - ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون - فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه - يقولها ثلاث مرات وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات - ثم قال: اللهم والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل من

خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلِّغ الشاهد الغائب».

وقد ذكروا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسي في الاحتجاج، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل.

وكيف ما كان: لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبايعوا علياً بالخلافة ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين.

فتهافت عليه الناس يبايعونه، وجاء الشيخان: أبو بكر وعمر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالا: هذا أمر منك أم من الله؟

فقال النبي: وهل يكون هذا عن غير أمر الله؟ نعم أمر من الله ورسوله، فقاما وبايعا، فقال عمر: السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك يا علي لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!! وكذلك وسلم عليه أبي بكر بإمرة المؤمنين.

هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين، وتعتبر عندهم من أصح الاحاديث لتواتر الروايات الواردة حول الحديث.

أما الصحابة الذين شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف ذكرنا معظم اسمائهم في الجزء الثاني من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ص410 - 414 وعددهم ينيف على المئة صحابي.

قال ابن عباس: وجبت والله في اعناق القوم فقام حسان وقال: أئذن لي يا رسول الله ان اقول في علي ابيات تسمعهن: فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): قل على بركة الله، فقام وقال: يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الولاية ماضية ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم * * * بخم فأسمع بالرسول مناديا

وقد جاءه جبريل عن أمر ربه * * * بأنك معصوم فلا تك وانيا

وبلغهم ما أنزل الله ربهم * * * إليك ولا تخشى هناك الاعاديا

فقام به إذ ذاك رافع كفه * * * بكف عليّ مُعْلِنَ الصوت عاليا

فقال: فمن كنت مولاكم ووليكم؟ * * * فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا * * * ولن تجد فينا لك اليوم عاصيا

فقال له: قم يا علي فإنني * * * رضيتك من بعدي اماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّهُ * * * فكونوا له انصار صدق مواليا

هناك دعا: اللّهم والي وليه * * * وكن للذي عادى علياً معاديا

فيا رب انصر ناصريه لنصرهم * * * امام هدىً كالبدر يَجلوا الدياجيا

إلى آخر الابيات.

إكْمَالُ الدِّين

ولما انتهت البيعة لامير المؤمنين (عليه السلام) هبط جبرئيل (عليه السلام)على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الاية: (اليومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وأَتمَمْتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاسلامَ دِيناً)([22]).

أما المفسرون والمحدثون من الشيعة فقد اتفقت كلمتهم على نزول هذه الاية يوم الغدير بعد انتهاء البيعة لعلي (عليه السلام) ، كما أيده حفاظ أهل السنة ومحدثيهم فقد روى ذلك أكثر من ستة عشر طريقاً.

علم علي وحكمته

قال الله سُبحانه وتعالى في مُحكم كتابه المجيد: (قُل هَل يَستوي الَّذينَ يَعلمُونَ والذينَ لايَعلَمُونَ)([23])، وقال(صلى الله

عليه وآله وسلم): «يا علي لا يعرف الله إلاّ أنا وأنت، ولا يَعرِفني إلاّ الله وأنت، ولا يعرفك إلاّ الله وأنا».

وقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»

وقال: «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لو كُشِفَ ليَ الغِطاء ما ازددت يقيناً»، فشدة يقينه دالة على قوة دينه، ورجاحة موازينه.

ومما لا شك فيه ولا ريب أنَّ للعلم صولةً وجولةً، وفضيلة وكمالاً، ويَعترِف البشر كافة بشرفه وسموّه، بل ويُفضّل العالم على الجاهل بالفطرة كتفضيل النور على الظلام، وقد حثّ الاسلام منذ انبثاقه على التعلم وإعطاء العلم والاولوية في كل مجالاته، فقد قال الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم): «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

والقرآن الكريم يشير إلى مزيّة العِلم وقيمته، وسُموّ قَدَرِه وكرامَتِه في كثير من الايات، ويثني على كل من أوتي من العلم نصيباً: (ومَن يُؤتَ الحِكمةَ فَقد أُوتيَ خيراً كَثيراً)([24]).

والعلم أيضاً من أهم الأُسس التي يستند عليها لتسنّم المراكز الراقية، والمناصب السامية، والقيادة (كالحكم، والقضاء)، كما أنّ العِلم بالاحكام الشرعية والتفقه بها، وتعلم آداب القضاء والفتوى، ويعتبر من الضروريات التي حثّ عليها الاسلام، كما أسلفت بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، ودرجات الايمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم.

فعِلم عليّ (عليه السلام) من عِلمِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث قال (عليه السلام): «علّمني رسول الله من العلم ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب».

وعِلمُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عِلم الله تعالى، اكتسبه عن طريق جبرئيل وعن طريق الالهام والنكت في القلب، وليس عن طريق التعلم والتحصيل.

ونجد في القرآن الكريم طائفة من الايات التي تصرّح بتمجيد العلم والحث عليه، كما تبين بأن علوم الانبياء اكتسبت من الله تعالى عن طريق الافاضة، والالقاء في القلب.

ومما لا شك فيه ولا ريب أنّ مثل هذه العلوم لا تشوبها شكوك ولا انحراف، بل هو الحق المطلق، الصادر عن الحق جلّت قدرته.

وإليك بعض تلك الايات المجيدة، قال سبحانه وتعالى:

(وَقُلْ رَّبِّ زِدني عِلماً)([25]).

(فَوَجَدا عَبداً مِن عِبَادِنا آتيناهُ رَحمةً مِن عِندَنا وعَلَّمناهُ مِن لَّدُنَّا عِلماً)([26]). إلى آخر الايات النازلة في العِلم.

فإذا عرفت هذا يا عزيزي القاريء، فكيف يمكننا أن نقدّر أو نستطيح أن نعلم مقدار علم أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي هو من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله الذي أخذ علمه من الله تعالى عن طريق الوحي.

بالاضافة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى نعت أمير المؤمنين(عليه السلام)، بقوله عزّ من قائل: (ومَن عِندهُ عِلمُ الكِتابِ) ([27]) كما ذكرنا ذلك مفصلاً في الجزء الاول من كتابنا - علي في الكتاب والسنة ص 163 - في تفسير الاية رقم 43 من سورة الرعد - فراجع -.

وبهذه المناسبة أقول: إنَّ آصف بن بَرْخِيا الذي كان عنده علمٌ من الكتاب وهو حرف واحد من اثنين وسبعين من الاسم الاعظم، استطاع بذلك العلم البسيط أن يجلب عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس - موقع عرش النبي سليمان - قبل أن يرتدّ طرفه ، كما ذكره القرآن الكريم بقوله: (قالَ الَّذِي عِندهُ عِلمٌ مِنَ الكتابِ أنا آتيكَ بهِ قَبلَ أن يرتدَّ إليكَ طَرفُكَ)([28]).

فكيف بأمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي (عِندهُ علُم الكتابِ)([29])، بنص القرآن المجيد وحديث رسوله الكريم والذي قال (عليه السلام) مراراً وبعدة مناسبات: «ها هنا لَعِلماً جماً» وأشار إلى صدره، وقال: «سلوني قبل أن تفقدوني،

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن طرق السموات فإني أعلم بها من طرق الارض».

وفي رواية أخرى: «لو سألتموني عن آية لاخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيّيها من مدنيّها، والله ما من فئة تُضِلّ أو تهدى إلاّ أنا أعرف قائدها وسائقها، وناعقها إلى يوم القيامة».

قال ابن عباس: عليٌّ عَلِمَ عِلماً علّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورسول الله علّمه الله، فعِلمُ النبي من عِلم الله تعالى، وعِلمُ عليّ من عِلم النبي، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في عِلم عليٍّ إلاّ كقطرة في سبعة أبحر.

وعن ابن عباس أيضاً: أن عمر بن الخطاب قال له يوماً: يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئِلت عنه! قال: فأبرز عليٌّ كفه وقال له: كم هذا؟ فقال عمر: خمسة، فقال: عجلت أبا حفص؟ قال: لم يخف عَليَّ، فقال علي: وأنا أسرع فيما لا يخفى عَليَّ.

هذا غيض من فيض عِلم أمير المؤمنين، وباب مدينة عِلم سيد المرسلين صلّى الله عليهما وآلهما أجمعين.

أقول: وهل استطاع (عليه السلام) أن يُبلّغ معشار ما حواه ووعاه من العلم، وهل السياسة الزمنية تركته وشأنه لتبليغ ما يمكن تبليغه وبث ما يمكن بثه، كلا وألف كلا، وفي هذا المقام ما أدري هل آسف على الامام الذي ضاع قدَرهُ بين الجهال والمنحرفين وأصحاب المطامع والحاقدين في ذلك العهد ولم يفسح له المجال، ليبث بين المسلمين شيئاً من علومه الالهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف على المسلمين الذين عثر بهم الحظّ وحُرمُوا الارتشاف من ذلك المنهل العذب الذي تطفح ضفتاه من كل فضيلة ومكرمة، وقد كانوا ولا يزالون بأمسِّ الحاجة الى علمه سلام الله عليه، فقد قهرته الظروف الصعبة، واضطرته السياسة الزمنية إلى الجلوس في داره خمس وعشرين سنة مسلوب الارادة والامكانيات من القيام بواجبه الذي طُبع عليه، لا يستطيع تنوير العقول بعلومه، أو تزويد النفوس بمواهبه؟.

بعض حكمه ومواعضه

قال (عليه السلام): «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكانت لذلك أهلاً: لا يَرجونّ أحدٌ منكم إلاّ ربه، ولا يخافنّ إلاّ ذنبه، ولا يستحيين أحدٌ منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيين أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإنّ الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له ولا في إيمان لا صبر معه» (نهج البلاغة ج4 كلماته القصيرة).

وقال (عليه السلام): «من أُعطي أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، وتصديق ذلك كتاب الله تعالى حيث قال عزَّ وجلَّ في الدعاء: (أدعُوني أستجيب لكُم)([30])، وقال في الاستغفار: (ومَن يَعمل سُوءاً أو يَظلِم نفسَهُ ثمَّ يَستغفِرِ اللهَ يجدِ اللهَ غَفُوراً رَّحيماً)([31]) ، وقال في الشكر: (لَئِن شَكرتُم لازيدَنكُم)([32])، وقال في التوبة: (إنَّما التَّوبةُ عَلى اللهِ للَّذينَ يعمَلُونَ السُّوءَ بجهالة ثمَّ يتوبونَ مِن قريب، فَأولئك يتوبُ اللهُ عليهِم وكانَ اللهُ عليماً حكيماً)([33])(شرح نهج البلاغة، ج4 ص34.

ومن خطبة له (عليه السلام): «من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ».

ومن خطبة له (عليه السلام): «واللهِ لان أبيت على حسَك السَعدان مسهَّداً([34])، وأُجرّ في الاغلال مصفّداً، أحب إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يومَ القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها([35]) - إلى أن قال(عليه السلام) -: واللهِ لو أُعطيتُ الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإنّ دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة

تقضمها([36])، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ باللهِ من سُبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين» (نهج البلاغة، ج2 ص217، 218).

وقال (عليه السلام): «طوبى لمن ذلّ في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه، وعزل عن الناس شره، ووسعته السنَّة، ولم ينسب إلى البدعة» (نهج البلاغة، ج4).

وقال (عليه السلام): «الناس ثلاث: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق» (نهج البلاغة، ج4).

وصيته (عليه السلام) لابي ذر الغفاري عليه الرحمة

حينما نقم عثمان على أبي ذر الغفاري ونفاه إلى الربذة، قام أمير المؤمنين (عليه السلام) وولداه الحسن والحسين (عليهما السلام) بتوديعه، قائلاً له: «يا أبا ذر إنك غَضِبْتَ لله فارجو من غَضِبْتَ له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفت عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك، وسيعلم من الرابح غداً، والاكثر حُسَّداً، ولو أن السموات والارضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، ولا يؤنسنّك إلاّ الحق ولا يوحشنّك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لاحبّوك، ولو قرضت منها لامنوك» (نهج البلاغة، ج2 ص12).

وقال (عليه السلام): «إن مع كل إنسان مَلكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الاجل جُنَّةً حصينة، كما قال كفى بالاجل حارساً» (نهج البلاغة).

فصاحة علي وبلاغته

أما فصاحة علي (عليه السلام) وبلاغته فقد سنّ لقريش، والعرب أُسس الفصاحة، وكل من جاء بعده فهو عِيالٌ عليه منه أخذ وبه اقتدى، ومن تلامذته أبو الاسود الدؤلي الذي علّمه أُسس المنطق ومبادىء النحو والصرف والعربية، وهي من أبرز صفاته الحميدة ومشهور بها كشهرته بشجاعته وإقدامه وصفته المميزة عند الجميع، وظاهرة للعيان كظهور الشمس في رابعة النهار.

ألا ترى إلى كلماته القصيرة في الحكمة والموعظة، وخطبته الجليلة المؤثرة في كل المناسبات والمجالات، وتجسيد كل موضوع يتطرق إليه ببيانه مثل: خطبة توحيد الله جلّ شأنه، وخطبته المعروفة بالشقشقية، وخطبه المشهورة كالهداية، والملاحم، واللؤلؤة، والغراء، والقاصعة، والافتخار، والاشباح، والدرّة اليتيمة، والاقاليم، والوسيلة، والطالوتية، والقصبية، والسليمانية، والناطقة، والدامغة، والفاضحة وغيرها. من خطبه المشهورة العارية عن الالف، وخطبته الخالية من النقاط، وهذا دليل قاطع على أن النطق طي لسانه، والقلم طوع بنانه يُدَوِّرُه حيثما شاء وكيف ما شاء.

وقال ابن أبي الحديد في مقدمة على شرح النهج:

ما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟ فقد عَلِمتَ أنه استولى بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر]دبر كل فريضة[وتوعّدوا مادِحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى حضروا([37]) أن يسمّي أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رِفعةً وسُموّاً، وكان كالمسك كلما سُتِر انتشر عُرفه، وكلما كُتِم تضوّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجب عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة؟ وتَنتمي إليه كل فِرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو

عذرتها وسابق مضمارها، ومجلِّي حَلَبتها.

وكُلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.. وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية، والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جلاّها، وطلاع ثناياها».

وقال نباتة: حَفِظتُ من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلاّ سعةً وكثرةً، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لما قال مِحفَن بن ابي مَحفَن - لمعاوية -: جئتك من عند أعيى الناس، قال له: ويحك؟ كيف يكون أعيى الناس؟ فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره.

وهذا يكفي دلالةً على أنه لا يُجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة، وحسبك أنه لم يدوّن لاحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر مما دُوِّن له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من الكتب».

([12]) راجع الفصل الخاص به .

([13]) سورة هود : آية 12 .

([14]) سورة الانفال : آية 46 .

([15]) سورة الاحقاق : آية 35 .

([16]) سورة يس : آية 9 .

([17]) سورة البقرة : آية 207 .

([18]) سورة الصافات : آية 102 .

([19]) أي عدم التباطىء .

([20]) سورة آل عمران : الاية 191 - 195 .

([21]) سورة المائدة : الاية 67 .

([22]) سورة المائدة : الاية 3 .

([23]) سورة الزمر : آية 9 .

([24]) سورة البقرة آية 269 .

([25]) سورة طه : آية 114 .

([26]) سورة الكهف : آية 65 .

([27]) سورة الرعد : آية 43 .

([28]) سورة النمل : آية 40 .

([29]) سورة الرعد : آية 43 .

([30]) سورة غافر : آية 60 .

([31]) سورة النساء : آية 110 .

([32]) سورة إبراهيم : آية 7 .

([33]) سورة النساء : آية 17 .

([34]) الحسك : الشوك ، مسهداً ، ساهراً .

([35]) قفولها : رجوعها ، الثرا : التراب .

([36]) جلب قشرة شعير : تقضمها بأسنانها .

([37]) منعوا .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ([38])

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها ابنُ أَبي قُحافة وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ([39]) وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أَرْتَإِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلى طِخْيَة عَمْياءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ. وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ. وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتّى يَلْقى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى. وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الاَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلان بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الاعْشَى):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا * * * وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَياللهِ عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لاِخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَة خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلاَمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا. وَيَكْثُرُ الْعِارُ فِيهَا. وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ. وَإِنَّ أَسْلَس لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْط وَشِمَاس وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاض. فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ. حتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ. جَعَلَهَا فِي جَمَاعَة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَاللَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الاَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلى هذِهِ النَّظَائِرِ لكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا. فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَال الاخَرُ لِصِهْرِهِ مَع هَن وَهَن إِلى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ. وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَةَ الابِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَن انْتَكَثَ فَتْلُهُ. وأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِب. حَتّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ. وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالامْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الارْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا. وَلكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ. وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ. وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ مَظْلُوم لاَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا. وَلاَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز.

(قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَاباً فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ. قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوِ أَطْرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاس تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس فَوَاللهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلام قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هذَا الْكَلاَمِ أَنْ لاَ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ.

شعره

عن الشعبي قال: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة([40]).

وبين أيدينا دواوين كثيرة له (عليه السلام) تحتوي على صنوف من الشعر الجيد، والنظم الرائع، والدر النضيد.

ولو تصفّحنا هذه الدواوين لوجدنا جلّ ما فيها في الحكمة والاداب والاخلاق والكمال والعرفان، فكم من نظم له (عليه السلام) في مدح الصدق، وذم الكذب، وتحسين الحسن، وتقبيح القبيح، والامر بالعدل والاحسان والنهي عن الظلم والعدوان، والصفح عن المسيء، والعفو عند المقدرة وهكذا بقية مكارم الاخلاق، وفي هذه الصفحات نماذج قليلة من شعره (عليه السلام).

1 - يقول (عليه السلام) في فضل العلم:

الناس من جهة التمثال أكفاء * * * أبوهم آدم والام حواء

فإن يكن لهم من أصلهم شرف * * * يفاخرون به فالطين والماء

لا فضل إلاّ لاهل العلم إنّهم * * * على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * * * والجاهلون لاهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي له بدلاً * * * فالناس موتى وأهل العلم أحياء

2 - وله (عليه السلام) في الدنيا:

تحرّز من الدنيا فإنّ فناءها * * * محل فناء لا محل بقاء
فصفوتها ممزوجة بكدورة * * * وراحتها مقرونة بعناء

3 - وله (عليه السلام) في الحث على الجود:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها * * * على الناس طراً إنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت * * * ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

4 - وله (عليه السلام) في العقل:

وأفضل قسم الله للمرء عقله * * * فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله * * * فقد كملت أخلاقه ومآربه
يزين الفتى في الناس صحة عقله * * * وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله * * * وإن كرمت أعراقه ومناصبه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة * * * فذو الجد من أمر المعيشة غالبه

5 - وله (عليه السلام) في الحث على الادب:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً * * * يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته * * * بلا لسان له ولا أدب
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا * * * ليس الفتى من يقول كان أبي

6 - وله (عليه السلام) في بيعة من تقدمه:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * * * فكيف بهذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم * * * فغيرك أولى بالنبي وأقرب

7 - وله (عليه السلام) في ذكر الموت:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً * * * هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا
كان النبي ولم يخلد لامته * * * لو خلّد الله قوماً قبله خلدا
للموت فينا سهام غير خاطئة * * * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

8 - وقال (عليه السلام) في الاصدقاء والزمن:

تغيرت المودة والاخاءُ * * * وقلّ الصدق وانقطع الرجاءُ
واسلمني الزمانِ إلى صديق * * * كثير الغدر ليس له رعاءُ
وربّ أخ وفيت له بحقٍّ * * * ولكن لا يدوم له وفاء
أخلاء اذا استغنيت عنهم * * * واعداءٌ إذا نزل البلاءُ
يديمون المودة ما رأوني * * * ويبقى الودّ ما بقي اللقاءُ
وان غُيّبتُ عن احد قلاني * * * وعاقبني بما فيه اكتفاء
سيغنيني الذي اغناه عني * * * فلا فقر يدوم ولا ثراء
وكل مودة لله تصفوا * * * ولا يصفوُ مع الفسق الاخاءُ
وكل جراحة فلها دواء * * * وسوء الخلق ليس له دواءُ
وليس بدائم ابداً نعيم * * * كذلك البؤس ليس له بقاءُ

واذا انكرت عهداً من حميم * * * ففي نفسي التركم والحياءُ

اذا ما رأس أهل البيت وليّ * * * بدا لهم من الناس الجفاءُ

9 - وقال (عليه السلام) في النساء:

دع ذكرهن فما لهن وفاءُ * * * ريح الصبا وعهودهن سواءُ

يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه * * * وقلوبهن من الوفاء خلاءُ

هذه نماذج من شعره (عليه السلام)، وقد تجد مصدرها في الدواوين المنسوبة إليه، وفي مطالب السؤول، وتذكرة الخواص، والفصول المهمة وفرائد السمطين وغيره.

إستجابة دعائه

وهذه الكرامة - استجابة الدعاء - وردت لائمة أهل البيت (عليه السلام)، فجلّ من ترجم لهم نص على بعض الحوادث التي دعوا الله تعالى فيها، واستجاب الله دعائهم (عليهم السلام). ولا غرو في ذلك فقد ضمن الله تعالى الاستجابة لعباده المؤمنين، فقال: (ادعوني استجب لكم)([41]) فكيف بأئمة المؤمنين، وسادة المسلمين.

وفي هذا الفصل بعض ما ورد من استجابة دعائه (عليه السلام):

1 - ولما استنشد (عليه السلام) صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين شهدوا يوم الغدير، وقام ثلاثون صحابياً شهدوا له بذلك لم يقم أنس بن مالك، فقال له (عليه السلام): ما لك لا تقوم مع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟.

فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني ونسيت!!.

فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها العمامة.

فما قام حتى ابيض وجهه برصاً، فكان بعد ذلك يقول: أصابتني دعوة العبد الصالح([42]).

2 - وبلغه (عليه السلام)هجوم بسر بن أرطاة - قائد معاوية - على اليمن، وقتله الابرياء، فدعا عليه، فقال: (اللهمّ إنّ بسراً باع دينه، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللهمّ فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللّهم العن بسراً وعمروا ومعاوية، وليحل عليهم غضبك، وتنزل بهم نقمتك، وليصبهم بأسك وزجرك الذي لا ترده عن القوم المجرمين).

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف ويقول: أعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك، حتى اتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات([43]).

3 - من حديث له (عليه السلام) مع الحسن البصري في الوضوء ، فقال له الحسن: لقد قتلت بالامس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء.

فقال (عليه السلام): فأطال الله حزنك.

قال أيوب السجستاني: فما رأينا الحسن قط إلاّ حزيناً، كأنه رجع عن دفن حميم، أو خرنبدج([44]) ضلّ حماره، فقلت له في ذلك، فقال: عمل في دعوة الرجل الصالح([45]).

في مناقب ابن شهر آشوب، روى عن عبدالله بن مسعود قال: لا تتعرضوا لدعوة عليّ فانها لا ترد، الاعثم في الفتوح: ان علياً (عليه السلام) رفع يده إلى السماء وهو يقول: اللهم طلحة إبن عبيد الله اعطاني صفقة بيمنه طائعاً ثم نكث بيعتي اللهم فعاجله ولا تمهله، اللهم وان الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوي وهو يعلم انه ظالم لي فاكفنيه كيف شئت وأنى شئت.

في تاريخ الطبري قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وخلافهما عليّ، والله انهما يعلمان اني لست دون رجل ممن قد قضى، اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما احكما في انفسهما وارهما المساءة فيما قد

عملا، فاستجاب الله دعاءه بخذلانهما.

تاريخ البلاذري، وحلية الاولياء، كتب اصحابنا عن جابر الانصاري، انه استشهد امير المؤمنين (عليه السلام)، انس بن مالك، والبراء بن عازب، والاشعث بن قيس، وخالد بن بريد، قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «من كنت مولاه فعلي مولاه» فكتموا فقال لانس: لا اماتك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطيه العمامة، وقال للاشعث لا اماتك الله حتى يذهب كريمتيك، وقال لخالد لا اماتك الله إلاّ ميتة جاهلية، كما دعا على البراء، فقال جابر ما معناه: والله لقد رأيت أنس وقد ابتلى بالبرص، ورأيت الاشعث وقد ذهب بصره، وكل واحد منهم استجاب الله دعاءه فيه.

المؤاخاة بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام)

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوةٌ) آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بين الاشكال والامثال، فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمن، وبين سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الانصاري، وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداءِ وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمّار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم.

وفي رواية مناقب آل أبي طالب: فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لعلي (عليه السلام): «إنما أخّرتك([46]) لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والاخرة».

فبكى علي عند ذلك وقال:

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي * * * هدانا به الرحمن من عَمَةِ الجهل
وأفديك حوبائي([47]) وما قدر مهجتي؟ * * * لمن أنتمي منه إلى الفرع والاصل
ومن ضمني مذ كنت طفلاً ويافعاً * * * وأنعشني بالبر والعلم والنهل
ومن جده جدي ومن عمّه عمي * * * ومن أهله أُمي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً * * * دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لشاكر * * * لاتمام ما أوليت يا خاتم الرُّسل

وقال:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي * * * معه ربيت وسبطاه هما ولدي

وقال:

محمد النبي أخي وصنوي * * * وحمزة سيد الشهداءِ عمي

ولا شك أن هذه الأُخوّة ليست نسبية، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً، وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين، لئلا يتقدمه أحد منهم، ولا يتآمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين: الاشكال، وجعله شكلاً لنفسه، ولهذا كان علي (عليه السلام)يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة، وشدة الاختصاص بالنبي، وكان علي (عليه السلام) يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الاكبر والفاروق الاعظم، لا يقوله غيري إلاّ كذاب».

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تُبقي مجالاً للشك والريب، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم([48])، وتطرق إلى ذلك الشعراءُ في نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار.

([38]) لقوله فيها إنها شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتي .

([39]) تمثيل لسمو قدره (عليه السلام) وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل .

([40]) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي 1/294 .

([41]) سورة المؤمن : آية 60 .

([42]) المراجعات 209 .

([43]) منن الرحمان 349 .

([44]) خرنبد : معرب خرنبدة ، أي المكاري .

([45]) الكنى والالقاب 2/75 .

([46]) إذخرتك (خ ل) .

([47]) الحوباء : روح القلب أو النفس .

([48]) كما ذكر العلامة القزويني ـ في كتابه « علي من المهد إلى اللحد » خمسين مصدراً ، من أهم مصادر أعلام القوم وحفاظهم في صحاحهم ومسانيدهم ، يقره الجميع بصحة متنه وسنده من ص 306 إلى ص312 فراجع .

تصدّق علي بالخاتم

عزيزي القارىء: إليك ثلاث صور مما روى من الروايات في قصة تصدق الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)بالخاتم إلى الفقير السائل، والايات النازلة بشأنه([49])، فراجع، اذكر منها الصورة الثانية للدلالة.

عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: كنا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلّم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتك والعذارءُ تبكي برنّة * * * وقد ذهلت أُم الصبي عن الطفل
وأُختّ وبنتان وأُمٌّ كبيرة * * * وقد كدت من فقري أخالط في عقلي
وقد مسني فقر وذلّ وفاقة * * * وليس لنا شيء بمرّ ولا يحلي
ولسنا نرى إلاّ إليك فرارنا * * * وأين مفر الخلق إلاّ إلى الرسل

فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بكى بكاءً شديداً، ثم قال لاصحابه: «معاشر المسلمين إن الله تعالى، قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً، والجزاءُ من الله غرف في الجنة، تضاهي غرف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فمن منكم يواسي هذا الفقير؟».

فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً، فأومأ إلى الاعرابي بيده فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته فأخذه الاعرابي وانصرف.

ثم إنّ النبي أتاه جبرئيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إقرأ: (إِنَّما وَلِيُّكمُ اللهُ ورسولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذين يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُون الزكاةَ وَهُم راكِعُونَ * ومَن يَتولَّ اللهَ ورسولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فإن حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ)([50]).

فعند ذلك قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائماً على قدميه وقال: «معاشر المسلمين أيّكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل مَن آمن؟».

قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنَّه تصدق بخاتمه على الاعرابي وهو يصلي. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «وجبت الغرف لابن عمي علي بن ابي طالب»، فقرأ عليهم الاية... الخ.

فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي * * * وكل بطيء في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبر ضائع * * * وما المدح في جنب الاله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً * * * فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد * * * ويا خير شار ثم يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية * * * وبيَّنها في محكمات الشرائع

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهاديتن:

فديت عليّاً إمام الورى * * * سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول * * * إمام البرية شمس الضحى
تصدّق خاتمه راكعاً * * * فأحسن بفعل إمام الورى
ففضّله الله ربّ العباد * * * وأنزل في شأنه هل أتى

وأنشد الاعرابي هذه الابيات:

أنا عبد لخمسة نزلت فيهم السور * * * آل طه وهل اتى فاقرأوا واعرفوا الخبر والطواسين بعدها والحواميم والزمر
أنا عبدٌ لهؤلاء وعدوٌ لمن كفر * * * كما قيل في هذه المناسبة أيضاً:

أوفي الصلاة مع الزكاة اقامها

والله يرحم عبَده الصبّارا * * * من ذا بخاتمه تصدق راكعاً

واسره في نفسه إسرارا * * * من كان بات على فراش محمد

ومحمدٌ أسري يؤم الغار * * * من كان جبرئيل يقوم يمينه

يوماً وميكال يؤم يسارا * * * من كان في القرآن سمّى مؤمناً

في تسع آيات جعلن غزارا * * *

علي وآية المباهلة

ذكر العلامة الاربلي في كتابه كشف الغمة ج1 ص232، 233 في سبب نزول آية المباهلة، إليك نصّها:

ولمّا انتشر أمر الاسلام بعد الفتح وما تلاه من الغزوات، وفدت الوفود على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان ممّن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى منهم: العاقب والسيّد وعبدالمسيح، فقدموا المدينة.

فلمّا صلّى النبيّ العصر جاءوا إليه يقدمهم الاسقف، فقال: يا محمّد ما تقول في السيّد المسيح؟.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «عبدالله اصطفاه وانتجبه».

فقال الاسقف: أتعرف له أباً ولّده؟.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «لم يكن عن نكاح فيكون له والد».

فقال: كيف تقول أنه عبد مخلوق وأنت لا ترى عبداً بغير أب»؟.

فأنزل الله تعالى الاية من سورة آل عمران إلى قوله: (إنَّ مَثَل عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُراب ثُمَّ قالَ لهُ كُن فيكونُ * الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلا تَكُن مِنَ المُمتَرينَ * فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونِسَاءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكم ثُمَّ نبتهِل فَنَجعل لَعنةَ اللهِ على الكاذِبين)([51]).

فتلاها على النصارى ودعاهم إلى المباهلة وقال: «إن الله أخبرني أنّ العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة ، ويبيّن الله الحق من الباطل».

فاجتمع الاسقف وأصحابه وتشاوروا واتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد، فلمّا رجعوا إلى رحالهم قال الاسقف: انظروا محمّداً فإن غدا بأهله وولده فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيء.

فلما كان الغد جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آخذاً بيد علي (عليه السلام)والحسن والحسين (عليهما السلام) يمشيان بين يديه وفاطمة (عليها السلام)تمشي خلفه، فسأل الاسقف عنهم، فقالوا: هذا عليّ ابن عمه وهو صهره وأبو ولده وأحبّ الخلق إليه، وهذان الطفلان ابنا بنته من عليّ وهما أحب الخلق إليه، وهذه الجارية فاطمة ابنته وهي أعز الناس عنده وأقربهم إلى قلبه.

فنظر الاسقف إلى العاقب والسيد وعبدالمسيح وقال لهم: انظروا قد جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه فاحذروا مباهلته، والله لولا مكانة قيصر لاسلمت له ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم، وارجعوا إلى بلادكم وارتاؤوا لانفسكم([52]).

فقالوا: رأينا لرأيك تبع.

فقال الاسقف: يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك ولكنّا نصالحك ، فصالحنا على ما ننهض به، فصالحهم على ألفي حلة قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحسبا ذلك، وكتب لهم به كتاباً.

ففي هذه القضية بيان لفضل عليّ (عليه السلام)، وظهور معجز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن النصارى عَلِمُوا أنّهم متى باهلوه حلّ بهم العذاب، فقبلوا الصلح، ودخلوا تحت الهدنة، وإنّ الله تعالى ابان أنّ علياً هو نفس رسول الله، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكمال والعصمة من الاثام، وإنّ الله جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنّهما حجة لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبرهاناً على دينه، ونصّ على الحكم بأنّ الحسن والحسين أبناؤه، وأنّ فاطمة (عليها السلام) نساؤه، والمتوجّه إليهم الذّكر والخطاب في الدّعاء إلى المباهلة، والاحتجاج، وهذا فضل لم يشاركهم فيه أحد من الامة ولا أقاربهم.

عليٌّ وآية التطهير

القرآن هو كتاب الله عزَّ وجلَّ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله الذي لا يتبع الهوى ولا يميل إلى أي جهة بدافع العاطفة، بل هو الصراط المستقيم والحق القويم.

كما أنّ هناك أحاديث نبوية شريفة اتفق على صحتها علماء الشيعة والسنّة، منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» والرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرن العترة بالقرآن، والقرآن بالعترة.

أليس القرآن: (هُدًى للنّاسِ وبَيّنات منَ الهُدى والفُرقان)([53]).

أو أليس القرآن (يهدي للَّتي هِيَ أقومُ)([54]).

أو أليس القرآن (هَذا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلمُتَّقين)([55]).

أو أليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق؟.

وإليك وصف موجز عن سبب نزول آية التطهير.

لقد أجمع المفسرون والمحدثون على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، إلاّ الشاذ منهم، واتفقت كلمتهم على: أنَّ آية التطهير نزلت في: عليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، وإن كان هناك بعض الاختلاف في ألفاظ الحديث، فالمؤدى واحد.

وخلاصة الواقعة: روى الشيخ الجليل عبدالله البحراني في (العوالم) بسند فيه جمع من أجلاء العلماء وأعلام الطائفة... إلى جابر بن عبدالله الانصاري قال: سمعت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها قالت:

دخل عليَّ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض الايام، فقال: «السلام عليكِ يا فاطمة».

فقلت: وعليك السلام يا أبتاه.

فقال: إني لاجد في بدني ضعفاً.

فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف.

فقال: يا فاطمة، ائتيني بالكساء اليماني، وغطيني به... إلى آخر الحديث.

وفي رواية أخرى: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان في بيت زوجته أم سلمة فدخلت عليه ابنته فاطمة ومعها الحسن والحسين وتبعهما علي (عليه السلام)، فجلسا عنده، فألقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رداءً أو عباءة أو كساءً]كيفما كان [عليهم وقال: «اللّهم هؤلاءِ أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة: يا رسول الله، فأنا مِن أهلك، وفي رواية: وأنا معكم؟ أو: ألا أدخل معكم؟ وفي رواية قالت فرفعت الكساءَ لادخل فجذبه من يدي وقال: «إنك على خير وإنك من أزواج النبي». فنزلت الاية: (إنّما يُريدُ اللهُ ليذهبَ عَنكُمُ الرجس أهلَ اَلبَيتَ ويُطهركُم تَطهيراً)([56]).

وقال أبو سعيد الخدري: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي باب علي وفاطمة أربعين صباحاً فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، (إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عَنكُمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهّركم تطهيراً)، أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم».

فقد أجمع محدثو الشيعة ومفسِّروهم، أنّ آية التطهير نزلت خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، لا تشاركهم زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها.

ومن أعلام السنة من ذكر ذلك، منهم: الثعلبي في تفسيره ، وأحمد بن حنبل في مسنده، والواحدي في تفسيره (البسيط)، وابن البطريق في المستدرك، والرازي في تفسيره، وغيرهم ممن يطول الحديث عن ذكرهم.

علي وآية النجوى

سبق أن ذكرنا بعض خصائص الامام أمير المؤمنين علي إبن ابي طالب (عليه السلام) التي تفرّد بها عن غيره، وكانت من جملة مفاخره، لان الله سبحانه وتعالى خصّه بها وأنزل العديد من الايات بشأنه، وتلك منزلة لم ينلها أحد من المسلمين.

ومن تلك الخصائص الفريدة، والمزايا الحميدة، ما رواه المفسرون، في تفسير قوله تعالى في محكم كتابه المجيد: (يَا أَيُّها الذينَ آمَنوا إذا ناجيتُمُ الرسولَ فَقَدِّموا بَينَ يَدي نَجواكُم صَدَقةً ذلك خيرٌ لكم وأطهرُ)([57]).

أما الاغنياءُ فبخلوا، وغلَّبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام، وأما أهل العسرة «الفقراء» فلم يجدوا ما يقدموا بين يدي مناجاتهم صدقة.

فخف ذلك الزحام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتد على أصحابه، فنزلت الاية التي بعدها، راشقةً لهم بسهام الملامة، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الاقدام.

وقال عليٌّ أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ في كتاب الله تعالى لايةً ما عَمِلَ بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، (وهي آية المناجاة)، فإنّها لمّا نزلت كان لي دينار فبِعتُه بعشرة دراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدَّقت بدرهم حتى فنيت الدراهم، فنسخت الاية بقوله عزَّ من قائل: (ءأشفَقْتُم أن تُقَدِّموا بَين يَدَي نجواكُم صَدَقات)([58]).

وروى الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) عن الترمذي، والثعلبي، عن علي (عليه السلام) أنه قال: «بي خَفّف الله عن هذه الأُمة، لانّ الله تبارك وتعالى امتحن الصحابة بهذه الاية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلاّ من تصدّق، وكان معي ديناراً فتصدقت به ، فكنت أنا سبب التوبة من الله تعالى على المسلمين حين عَمِلتُ بالاية، ولو لم يَعمَل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها».

وفي كتاب فرائد السمطين: إن علياً (عليه السلام) ناجى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر مرات، بعشر كلمات قدّمها عشر صدقات فسأل في الاولى: «ما الوفاء؟ قال: التوحيد: شهادة أن لا إله إلاّ الله». إلى آخر المناجات العشرة.

([49]) كما تجده مذكوراً ومفصلاً في الجزء الاول من كتابنا (علي في الكتاب والسنة) في تفسير الاية 55 من سورة المائدة من ص 95 إلى ص 103 .

([50]) سورة المائدة : آيتان 55 - 56 .

([51]) سورة آل عمران : آيات 59 - 61 .

([52]) ارتأى الامر : نظر فيه وتدبره .

([53]) سورة البقرة : آية 185 .

([54]) سورة الاسراء : آية 9 .
([55]) آل عمران آية 138 .
([56]) سورة الاحزاب : آية 33 .
([57]) سورة المجادلة : آية 12 .
([58]) سورة المجادلة : آية 12 .

علي وسورة هل اتى

وسائل هل أتى نص بحق علي؟

أجبته هل أتى نص بحق علي

في أمالي الصدوق: عن الامام الصادق (عليه السلام)، عن أبيه في قوله عزَّ وجلَّ: (يوفونَ بالنَّذرِ)([59]) قالا: «مرض الحسن والحسين (عليهما السلام)، وهما صبيّان صغيران فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنيك نذراً إنِ اللهُ عافاهما، فقال: اصوم ثلاثة أيام شكراً لله عزَّ وجلَّ، وكذلك قالت فاطمة (عليها السلام)، وقال الصبيّان الحسن والحسين (عليهما السلام): ونحن أيضاً نصوم ثلاثة ايام، وكذلك قالت جاريتهم فضة.

فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام ، فانطلق عليٌّ (عليه السلام)، فاستقرض ثلاثة أصوع من الشعير.

ثمّ أخذت فاطمة (عليها السلام) صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى عليٌّ (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب، ثمّ أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأوّل لقمة كسرها علي (عليه السلام)، وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي (عليه السلام) اللقمة من يده، ودفعها إلى المسكين وفعل أهل بيته كذلك، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً ولم يذوقوا إلاّ الماء القراح.

وفي اليوم الثاني عمدت فاطمة (عليها السلام) إلى الثلث الثاني من الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، وصلى عليٌّ المغرب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها عليٌّ (عليه السلام)، وإذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي (عليه السلام) اللقمة من يده فعمدت فاطمة (عليها السلام) إلى الطعام فأعطته جميع ما في الخوان، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلاّ الماء القراح، وأصبحوا صياماً.

وفي اليوم الثالث، عمدت فاطمة الزهراء (عليها السلام)وطحنت الباقي من الشعير وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، وصلّى عليٌّ (عليه السلام) المغرب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أتى منزله، فقرّب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها عليّ (عليه السلام) وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا أسيركم أطعموني مما أطعمكم الله.

فوضع عليّ (عليه السلام)، اللقمة من يده، ثم عمدوا جميعاً إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء».

قال شعيب في حديثه: وأقبل عليٌّ بالحسن والحسين (عليهم السلام)، نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهما يرتعشان كالفِراخ من شِدَّة الجوع، فلما بصر بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا أبا الحسن شدّ ما يسوءني ما ارى بكم!؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة».

فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدّه الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ضمها إليه وقال: «وا غوثاه بالله؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟» فهبط جبرئيل فقال: يا محمد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: (هَل أَتى على الانسان حِينٌ من الدهرِ)([60])حتى إذا بلغ (إنَّ هذا كانَ لكُم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً).

حديث سد الابواب

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما قدم أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، المدينة لم تكن لهم بيوت، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تبيتوا في المسجد فتحلموا».

ثم إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك، فقال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى عمر فقال مثل قوله، فقال: سمعاً وطاعة.

ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية، فقال: سمعاً وطاعة ، فسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى حمزة (رضي الله عنه) فسد بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله.

وعلي (عليه السلام)، كان متردداً لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بنى له في المسجد بيتاً بين بيوته، «كذا مذكور» فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «اسكن طاهراً مطهراً».

فبلغ حمزة ذلك فقال: يا رسول الله تخرجنا وتمسك غلمان بني عبدالمطلب، فقال له النبي: «لو كان الامر إليّ ما جعلت دونكم أحد، والله ما أعطاه إياه إلاّ الله، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر» فبشره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقتل يوم أحد شهيداً.

ونَفَس ذلك رجال على عليٍّ فوجدوا في أنفسهم (أي حسدوه)، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من الصحابة ، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام خطيباً فقال: «إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أسكن علياً في المسجد وأُخرِجُهم، والله ما أخرجتهم ولا اسكنته، إنّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى موسى وأخيه (أن تبوءَا لقومِكما بمصرَ بُيُوتاً واجعلوا بُيُوتَكم قِبلةً وأقيموا الصَّلاة) يونس 10: 78 وأمر موسى أن لا يسكن مسجداً ولا ينكح فيه ولا يدخله إلاّ هارون وذريته، وإنّ علياً بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحل مسجدي لاحد ينكح فيه النساء إلاّ علي وذريته، فمن شاء فها هنا» وأومأ بيده نحو الشام.

علي ومفاخرة العباس وشيبة

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال: بينا شيبة بن أبي طلحة، والعباس بن عبدالمطلب عم النبي، يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقال: «بماذا تتفاخران»، فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام.

قال عليٌّ (عليه السلام) «إستحييت لكما فقد أُوتيت على صِغَرِي ما لم تأتيا».

فقالا: وما أُوتيت يا عليّ؟

قال: ضربت خراطِمَكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله».

فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به علي؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ادعوا لي علياً» فدعي له، فقال: «ما حملك على ما استقبلت به عمك»؟

فقال: «يا رسول الله صدمته بالحق، فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرضى».

فنزل جبرئيل وقال: «يا محمّد إنّ ربك يقرأ عليك السلام ويقول: اتل عليهم: (أَجَعَلتُم سِقايَةَ الحَاجِّ وَعمَارةَ المسجِدِ الحرامَ كمن آمَنَ باللهِ واليومِ الاخِرِ وَجاهَدَ في سبيل اللهِ لا يَستوُن)([61]).

تبليغ علي سورة البراءة

في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة، نزلت الايات الاولى من سورة برآءة - التوبة - ملخصها:
أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أبا بكر ليحج بالناس، والمشركون لا يزالون يشاركون المسلمين في أداء الفريضة، فيحج في الموسم من يؤمن بالله، ومن يؤمن بالجبت والطاغوت.
ومضى ابو بكر بمن معه من المسلمين ليشرف على الحج في ذلك العام، حتى انتهى إلى ذي الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة المعروف بمسجد الشجرة في يومنا هذا.
وفيما هو يسير بمن معه وإذا بالوحي ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويأمره بأن يرسل علياً مكان أبي بكر، وقال له: لا يؤديها إلاّ أنت أو رجل منك.
وهذا مما يثبت بالدليل القاطع على أن نفس علي (عليه السلام)هي نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان أبا بكر غير جدير بحمل الرسالة وادائها.
فارسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) وأمره أن يأخذ الايات من أبي بكر ويؤديها بنفسه، فلحقه علي (عليه السلام) وهو لا يزال بذي الحليفة فأخذها منه، ورجع أبو بكر إلى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما يغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا رسول الله هل أنزل فيَّ شيء؟ فقال النبي: «لا ولكني أُمرِت أن أبلغها أنا أو رجل مني».
ومضى عليٌ (عليه السلام) حتى بلغ مكة فقرأ على الناس الايات الاولى من سورة برآءة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، كما جاء ذلك برواية ابن كثير في البداية والنهاية.

إنه تلا عليهم سورة برآءة حتى بلغ قوله تعالى: (إنَّما المُشرِكُونَ نَجَسُ فَلا يَقرَبُوا المسجِدَ الحَرَامَ بَعدَ عَامِهِم هذَا وإن خِفْتُم عَيْلَةً فَسوفَ يُغنِيكُمُ الله مِن فَضْلِهِ إن شآءَ إنَّ الله عَليمٌ حَكيمٌ)([62]).
ثم أعاد عليهم القول: «لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوف في البيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فأجله إلى مدته».
وأصغى المشركون إلى هذا القرار، بقلوب ترتعد من الخوف ويسعرها الحقد، ثم رجعوا إلى أنفسهم وتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض: ما تصنعون وقد أسلمت قريش وأكثر العرب، فأسلم أكثرهم (اضطراراً) قبل نهاية الاشهر الاربعة.

اقوال الصحابة والتابعين

من المعيب أن نستدل على فضل علي بن أبي طالب عليه السلام بأقوال الصحابة والتابعين، وهم لولا جهاده وآثاره لكانوا في طي النسيان، وعالم الاهمال، وما قيمة ما ذكروه بعد قول الرسول الاعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم له: يا علي ما عرفك إلاّ الله وأنا، وناهيك بهذا شرفاً وفخراً.
نذكر من كلماتهم:

- قال أبو بكر لامير المؤمنين (عليه السلام): أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة([63]).

- قال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر([64]).

وقال أيضاً: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن([65]).

وقال أيضاً: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضراً([66]).

وقال أيضاً: علي أقضانا([67]).

وقال أيضاً: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب([68]).

- قال عبدالله بن مسعود: كنا نتحدث أنّ أقضى المدينة علي بن أبي طالب([69]).

- قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب([70]).

- قال زيد بن أرقم: أوّل من صلى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علي بن أبي طالب([71]).

- قالت عائشة: ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منه([72]).

وقالت أيضاً: أما إنّه لاعلم الناس بالسنة([73]).

- قال أبو سعيد الخدري: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً([74]).

- قال عبدالله بن عباس لقوم يتناولون علياً: ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطأ جبرئيل عليه السلام فوق بيته، ولقد عاتب الله أصحاب رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم في القرآن ولم يذكره إلاّ بخير([75]).

وقال أيضاً: أعطي علي رضي الله عنه تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي([76]).

وقال أيضاً: لعلي أربع خصال ليست لاحد غيره: وهو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الذي كان لواءه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره([77]).

- قال جابر بن عبدالله الانصاري: ما كنا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام([78]).

قال ضرار بن ضمرة الكناني لما طلب منه معاوية أن يصف له علياً: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبئناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد لقد رايته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الان وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول: يا دنيا غري غيري، إليّ تعرضت، أم إليّ تشوقت هيهات هيهات، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.

شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)

ضُرِبَ الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليلة الاربعاء التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وقبض ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين هذا ما كان عليه علماء أهل البيت (عليهم السلام) ومؤرخيهم والسائرين عليه.

نعيه نفسه قبل مقتله

قال ابن الاثير في الكامل: قيل من غير وجه أن علياً كان يقول ما يمنع اشقاكم أن يخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه.

وقال الحسن بن كثير عن أبيه: خرج علي من الفجر فأقبل الاوز يصحن في وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح، فضربه ابن ملجم في ليلته.

سبب قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال الطبري في تاريخه وابن الاثير في الكامل: كان سبب قتله (عليه السلام) أن عبدالرحمن بن ملجم المرادي والبرك

بن عبدالله التميمي الصريمي واسمه الحجاج وعمروبن أبي بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا الولاة ثم ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا لله وقتلنا أئمة الضلال وارحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا اكفيكم علياً وقال البرك بن عبدالله انا اكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لتسع عشرة أو سبع عشرة من رمضان فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي اصحابه بها وكتمهم أمره ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرباب ومعهم امرأة منهم اسمها قطام (بنت الاخضر التيمية) قتل أبوها وأخوها يوم النهروان وكانت فائقة الجمال فخطبها فقالت لا أتزوجك إلاّ على ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي فقال اما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني قالت بل التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بي إلاّ قتل علي فلك ما سألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان فأجابها وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال هل لك في شرف الدنيا والاخرة قال وما ذاك قال قتل علي بن ابي طالب قال شبيب ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر على قتله قال اكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه قال ويحك لو كان غير علي كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الاسلام وما أجدني انشرح لقتله قال اما تعلمه قتل أهل النهروان العباد الصالحين قال بلى قال فلنقتله بمن قتل من أصحابنا فأجابه فلما كان ليلة الجمعة([79]) وهي الليلة التي واعد ابن ملجم فيها أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو جاؤوا قطام وهي في المسجد الاعظم معتكفة فدعت لهم بالحرير وعصبتهم به.

وقال الشيخ المفيد: أنهم أتوا قطام ليلة الاربعاء. وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين أنهم أتوا قطام بنت الاخضر بن شجنة من تيم الرباب وهي معتكفة في المسجد الاعظم قد ضربت عليها قبة فدعت لهم بحرير فعصّبت به صدورهم وتقلّدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مما يلي السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين (عليه السلام)إلى الصلاة. (قال الشيخ المفيد) وقد كانوا قبل ذلك القوا إلى الاشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) واوطأهم على ذلك وحضر الاشعث في تلك الليلة لمعونتهم وكان حجر بن عدي في تلك الليلة بائتاً في المسجد فسمع الاشعث يقول لابن ملجم النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح فأحس حجر بما أراد الاشعث فقال قتلته يا اعور وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخبره الخبر ويحذره من القوم وخالفه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الطريق فدخل المسجد قال الطبري وابن الاثير: فلما خرج علي نادى الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطلق وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا علي ولا لاصحابك. وقال أبو الفرج: فضربه ابن ملجم فأثبت الضربة في وسط رأسه قال ابن عبدالبر: فقال علي فزت ورب الكعبة لا يفوتنكم.

وفي الاستيعاب اختلفوا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها وهرب القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لاخذهم قال أبو الفرج فأما شبيب فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف ليقتله به فرأى الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجلوا عليه ولم يسمعوا منه فوثب على صدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول له لا فقال نعم فمضى ابن عمه واشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله، قال المفيد: وأما ابن ملجم فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) وافلت الثالث وانسل بين الناس، وفي رواية الطبري وابن الاثير أن الذي قُتِلَ وردان والذي أفلِتَ شبيب. قال ابن الاثير: وقدم علي (عليه السلام) جعدة بين هبيرة ابن أخته أم هانيء يصلي بالناس الغداة قال الشيخ في الامالي وخرج الحسن والحسين (عليهما السلام) وأخذا ابن ملجم وأوثقاه، واحتمل أمير المؤمنين (عليه السلام) فأدخل داره.

قال ابن الاثير: وادخل ابن ملجم على أمير المؤمنين وهو مكتوف فقال أي عدو الله ألم أحسن إليك قال بلى قال فما حملك على هذا؟ قال شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، قال علي لا اراك إلاّ مقتولاً به ولا اراك إلاّ من شر

خلق الله ثم قال النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبدالمطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلاّ قاتلي، انظر يا حسن إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

فأخرج من بين يديه وإن الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع وهم يقولون يا عدو الله ما فعلت أهلكت أمة محمد وقتلت خير الناس وأنه لصامت لا ينطق فذهب به إلى الحبس وجاء الناس إلى امير المؤمنين فقالوا مرنا بأمرك في عدو الله والله لقد أهلك الامة وأفسد الملة فقال لهم إن عشت رأيت فيه رأيي وإن هلكت فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي اقتلوه ثم احرقوه بعد ذلك بالنار.

قال أبو الفرج الاصبهاني روى أبو مخنف عن ابي الطفيل أنّ صعصعة بن صوحان استأذن علي (عليه السلام) وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للاذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً لقد كان الله في صدرك عظيماً ولقد كنت بذات الله عليماً. فابلغه الاذن فقال قل له وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة.

وروى ابن الاثير في أُسد الغابة بسنده عن عمرو ذي مر قال لما أصيب علي بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه فقلت يا أمير المؤمنين أرني ضربتك فحلها فقلت خدش وليس بشيء قال إني مفارقكم فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب فقال لها اسكتي فلو ترين ما أرى لما بكيت فقلت يا أمير المؤمنين ماذا ترى قال هذه الملائكة وفود والنبيون وهذا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يا علي ابشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه. وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في الامالي بسنده عن حبيب بن عمر ونحوه.

وصية أمير المؤمنين (عليه السلام)

ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه وأبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن ابي طالب أوصى أنه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق واعملا للاجر (للاخرة خ ل) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام وإن البغضة حالقة الدين ولا قوة إلاّ بالله انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، والله الله في الايتام لا تغيروا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)يقول من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لاكل مال اليتيم النار، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به مَن أمّهُ أن يغفر له ما سلف من ذنبه، والله الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم والله الله في الزكاة فإنها تطفيء غضب ربكم والله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جُنة من النار، والله الله في الجهاد في سيل الله بأموالكم وأنفسكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان إمام هدى ومطيع له مقتد بهذاه، والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤووا محدثاً فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوى للمحدث، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) أن قال أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت ايمانكم ثم قال الصلاة الصلاة ولا تخافن في الله لومة لائم يلفكم من أرادكم وبغى عليكم قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عزَّ وجلَّ ولا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الله الامر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواصل والتباذل والتبار وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم واستودعكم الله خير مستودع واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم فاضت روحه الطاهرة.

وبعد شهادته (عليه السلام) تولى تجهيزه ودفنه ابناه الامامان الحسن والحسين (عليهما السلام) بامره، وحملا نعشه وبقية أهل بيته واصحابه المخلصين إلى الغري من نجف الكوفة، فدفناه في مرقده المدخر له ادم ونوح (عليهما السلام) وعفيا موضع قبره بوصية منه، فلم يزل قبره مخفياً من بني أمية، حتى دلّ عليه حفيده الامام الصادق (عليه السلام) عند وروده الحيرة باستدعاء المنصور العباسي.

فعرفته الشيعة، واستأنفوا تعهدهم بزيارته. وكان عمره الشريف عند شهادته ثلاثاً وستين سنة.

وهكذا انتهت حياة هذا العظيم الذي ملئ الدنيا بجهاده وسمو مكارمه، وكانت حياته كلها عبادة ابتداءً من ولادته في الكعبة وشهادته بمحراب مسجد الكوفة.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم جاهد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيا ورزقنا شفاعته.

قتل ابن ملجلم لعنه الله

ولما احسّ الامام علي (عليه السلام) بدنوا اجله من ضربة ابن ملجم لعنه الله، قال: احسنوا اليه فان أعش فهضم او قصاص، وان امت فعاجلوه فاني مخاصمه عند ربي عزّوجلّ.

وقد نهى الامام الحسن (عليه السلام) عن المثلة وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين وتقولون قتل امير المؤمنين قتل امير المؤمنين، ألا لا يقتلن الا قاتلي، انظر يا حسن ان انا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، فلما قبض (عليه السلام) بعث الامام الحسن (عليه السلام) الى ابن ملجم، فقدّمه وضرب عنقه، ثم اخذ الناس جيفته فادرجوه في البواري ثم احرقوه بالنار، الا لعنة الله على الظالمين.

خاتمة المطاف

هذا غيضٌ من فيض فضائل الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه، الذي استخرجناه من مؤلفاتنا، ليكون في متناول خطباء المنبر الحسيني، ومصدراً للمؤلّفين، وتوعيةً لشبابنا المؤمن المهجر والمهاجر، ومن يريد ان يرتوي من نهله.

ولم نذكر بطولاته، وبعض جوانب حياته الفذّة، لما سبق ذكرها مفصّلاً، دراسة وتحليلاً.

سائلاً المولى القدير ان يتقبّل منّي هذا اليسير ويعفو عنّي الكثير، فإنّه سميع بصير.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيّين وآله الطاهرين.

([59]) سورة الانسان : آية 7 .

([60]) سورة الانسان : آية 1 - 22 .

([61]) سورة البراءة 9 : الاية 19 .

([62]) التوبة ... 38 .

([63]) الفتوحات الاسلامية 2/470 . قالها بعد أن قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : من كنت مولاه فعلي مولاه .

([64]) شرح نهج البلاغة 1/6 . تذكرة الخواص ص87 .

([65]) شرح نهج البلاغة 6 . اسد الغابة 4/220 . تهذيب التهذيب 7/337 .

([66]) شرح نهج البلاغة 1/6 .

([67]) تهذيب التهذيب 7/337 .

([68]) تذكرة الخواص 87 .

([69]) أسد الغابة 4/22 . الائمة الاثنا عشر لابن طولون 50 .

([70]) أسد الغابة 4/22 . الائمة الاثنا عشر لابن طولون 51 .

([71]) الاستيعاب بهامش الاصابة 3/32 .

([72]) العقد الفريد 2/216 .

([73]) الاستيعاب بهامش الاصابة 3/40 .

([74]) الائمة الاثنا عشر لابن طولون 56 .

([75]) تذكرة الخواص 90 ، الاستيعاب بهامش الاصابة 3/40 .

([76]) الائمة الاثنا عشر لابن طولون 52 .

([77]) الاستيعاب بهامش الاصابة 3/27 .

([78]) الاستيعاب بهامش الاصابة 3/45 .

([79]) هكذا في تاريخ الطبري وكامل ابن الاثير ولعل الصواب ما يأتي عن المفيد ناقلاً له عن أبي مخنف أنه ضرب ليلة الاربعاء وقبض ليلة الجمعة وأنه وقع اشتباه بين ليلة الضرب وليلة الوفاة والله أعلم .